

الحضارة المصرية بين الهلينية والرومانية

٣٣٢ ق م - ٦٤٢ م

تأليف
أ.د. إسحق عبيد
كلية الآداب - جامعة عين شمس



ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية



إيروس يعزف على القيثارة

(تمثال من الفخار - الإسكندرية)

التصميم والإخراج على الكمبيوتر
محيى الدين فتحى الشلودى

٩٣٨,٠٨
إس ح ض

إسحق عبيد.
الحضـارة المصرية بين الهلينية والرومـانية: ٣٣٢ق م - ٦٤٢م/ تأليف إسحق عبيد. ـ القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٦.
أ-د ٨٨ ص: صور؛ ٢٤ سم. - (موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية. التاريخ القديم؛ ٥).
ببليوجرافية: ص ٨٦ - ٨٧.
تدمك: ٤ - ٢٠٦٨ - ١٠ - ٩٧٧.
١ - الحضارة المصرية. ٢ - مصر القديمة - تاريخ - العصر اليونانى (٣٣٢ - ٣٠ ق م). ٣ - مصر القديمة - تاريخ - العصر الرومانى (٣٠ ق م - ٦٤٢م). ٤ - البطالمة. ٥ - الإسكندرية فى العصر القديم. ٦ - شخصيات تاريخية قديمة. أ - العنوان. ب - السلسلة.

رقم الإيداع: ٥٨٤٢ / ٢٠٠٦

دار الفكر العربى

تنفيذ وطباعة الكتاب: مطبعة البردى بالعاشر من رمضان

جميع المراسلات والاتصالات على العنوان التالى:

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

www.darelfikrelarabi.com

INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم السلسلة

التـاريخ علم من أجَلِّ العلوم الإنسـانية وأعـلاها قدرا وأكـثرها فـائدة. ويتطلب علم التـاريخ فيمن يمارسـه التحلى بأمـانة الحكم وصدق الكلمـة وبُعْد النظر والقدرة على الإفادة من دروس الماضى لمواجهة صعاب الحاضر والاستعداد لما قد يتفتق عنه المستقبل من أخطار وعقبات.

إن الروايات التاريخـية قد تتـشابه فى بعض أجزائهـا على مدى الدهور، ولكن التاريخ لا يمكن أن يعـيد نفسه، بمعنى أن تتطابق أحـداثه مع بعد المسافـة بين حدث وآخر. فالإنسان هو الإنسان بكيانه الجـسدى ومشاعره النفسية وتطلعاته وطمـوحاته.. على مر العصور، ولكن الظروف المحيطة به تتغير وتتبدل من عصر لآخر. وغالبا ما يتخذ هذا التغيير مواقف جديدة أو مسيرة مـختلفة تسهم فى تحويل نظرة الناس إلى الحياة. وبدراسـة التاريخ يمكن الوقوف على ما مر به الإنسان من تجـارب وما يمكن أن يكون قد وقع فيـه من أخطاء، وكيف يتجنبهـا فى الحاضر والمستقبل. وهذا ما عبَّر عنه بعض الحكماء بقوله: «من وعى التاريخ فى صدره، أضاف عمرا إلى عمره».

وقد أدرك هذه الحـقيقـة كثير من الـهيئات الثـقافيـة، فجعلوا للتـاريخ حقه من الاهتـمام والرعاية، وحرصوا على رعاية جمعه وحصاده وأحلوه فى مكانه اللائق.

وتأتى مؤسسة **دار الفكر العربى** التى أسسهـا الأستاذ/ **محمد محمود الخضرى**، التى تنهض بدور ملموس فى مجـال خدمة الثقافة العربيـة. والتى وضعت مشروعا للثقافـة التاريخية، واستعانت فى التخطيط لـهذا المشروع بعدد من صفوة أساتذة التاريخ المتخـصصين داخل الجامعات العربية وخارجهـا. كما وفرت الدار لهذه السلسلة الإخراج الفنى والتصميـمات، وكذلك المراجعة اللغوية لخروج هذه السلسلة بالصورة التى تجدونها أمامكم.

وإن أسرة الدراسات التـاريخية ليسعدها أن تقـدم هذا الكتاب الذى يصدر عن **دار الفكر العربى** ضمن هذه السلسلة، سائلين لها دوام التوفيق فى خدمة الرسالة والنهوض بالأمانة.

أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور



مقدمة

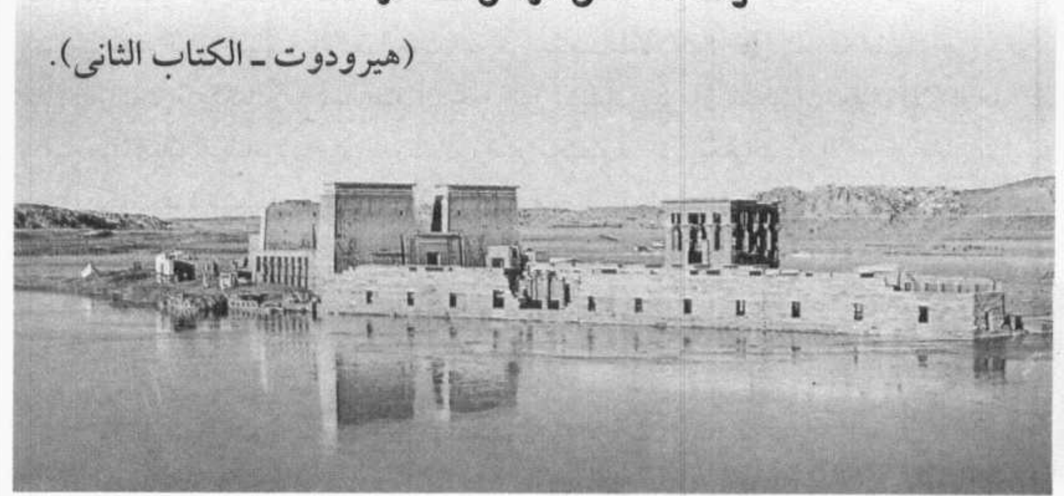


هذا الكتيب موجه إلى القارئ العادى وليس موجها إلى أهل التخصص. وهو إطلالة شمولية الرؤية لا تحتمل الوقوف عند التفصيلات فى عوالم الهلينية والرومانية والبيزنطية، مع التركيز على موضع مصر بين هذه العوالم فى حوض البحر المتوسط، وفضلها الحضارى على هذا الحوض، فهو فى أحسن الأحوال مجرد «فاتح للشهية التاريخية». وعلى من يرغب فى زاد دسم من العلم التاريخى أن يرجع إلى مؤلفات أساتذتنا الأجلاء عُمُد هذه الحقب التاريخية المتعاقبة، وهم أشهر من نار على علم. (راجع قائمة المراجع).

وأرجو ألا ينظر إلى هذه الإطلالة بأكثر من إطار حجمها التثقيفى وهدفها المحدود المتواضع.

المؤلف

«المصريون أهل ورع ودين من قديم الزمن... وإن جل أسماء الآلهة عند اليونان قد وفدت من أرض مصر».



(هيرودوت ـ الكتاب الثانى).





إن قصة الحضـارة المصرية القديمة قصة طويلة حقـا، فالحيز الزمنى الذى شغله التـاريخ المصرى من حيث العراقـة والقدم لا يدانيه حيـز آخر على وجه البسـيطة؛ ذلك أن المصرى القديم منذ ألوف السـنين وهو يتقلب مع البيـئة بين بريق الأمل حينا، ووجعـة الإحباط حينا أخـرى. وبين هذا وذاك أخذ المصرى يتعلم ويودع خـبراته فى «المخزون العقلى العـاقل». وجدير بالملاحظة فى هذا السيـاق أن «العقل» بمعنى الفـهم والإدراك الواعى ليس عضـوا كسائر أعـضاء الجـسد؛ فهـو ليس «المخ»، وهو ليس كالساقين أو الذراعين أو العيون أو اللسان، فهذه جميعا تجدها فى الحيوان أيضا. وأما العقل ـ وهو مـا ميـز الله به بنى الإنسان عن سـائر المخلوقات ـ فـهو الـفكر الواعى من نتاج الخـبرة والتـعلم والمحاولة والخطأ. وعليـه فإنه يصح القـول بأن الحضارة منجـز عقلى، وبأنهـا وقف على الإنسان وحده، ولن يعرفها عالم الحيوان أبدا.

خذ مثـلا عوالم طير كالحمـام؛ فإنك ترى ذَكَر الحمـام منحنيا أمام أنثاه يهـدل لها شاديا، فتنفجـر الأنثى إثارة، ويبدأ الاثنان حكاية بناء عش دافئ فى ثنايا واحدة من الـشجر. ولكن هذه الحركات فى دنيا الحـمام وأضرابه، رغم تفاصيلها المذهلة وتتابعـها الذى يُحاكى الطقوس، إن هو إلا أفعال فطرية لم يتعلمها الذكر ولا حفظتها أنثى الحمام، ولن تتغير أو تتبدل ما بقى الحمام. إن أحدا لم يقدم إلى الحمامـة ووليفها مجموعة من مكعبـات الأطفال كى تتدرب عليها، هى وهو، على بناء العش. ولكنك لن تسـتطيع أن تجعل ابن الإنسان يبنى أى تشكيـل معقول إلا إذا علمـته ودربته منذ الطفولة الباكرة، حتى يدرك أن وضع مجمـوعة من المكعبات أو الأحجار معا وبترتيب معين، يكوّن هذا الشكـل أو ذاك المنظور. ومن هذا المساق الخبـرى صنع المصرى القديم المعـجزة المعمارية التى تنطق بها المصاطب والأهرامات والمسلات والتماثيل والمعابد، التى تجدها فى كل ركن من جنبات الوادى.

حقيـقة أن كل كائن حى ـ حتى وإن كـان فى شكل خلية هلاميـة هزيلة ـ يكيف حاله من أجل البقاء، من حرص على الطعـام والجنس وغيرهما، وتلكم هى «غائية» الفطرة يتـساوى فيها

الضفدع الهزيل مع النمر الكاسر والإنسان العاقل. ولكن الإنسان - دون غيره من سائر المخلوقات - ينفرد بخاصية «القصدية» المنبنية على الذكاء والخبرة، وهى فى مجموعها تكمن وراء كل منجز من منجزات الحضارة. إن للفهد مُخا، وللقردة حيلا، وللطيور شدوا، وللقطط مواء، ولكن لا عالم الفهود ولا أوكار القرود ولا أسراب الطيور، ولا حظائر القطط وغيرها يمكن أن يكون لها حضارة مثل ابن الإنسان!

نحن لا ننكر أن هنالك بعض السلوكيات فى بنى البشر تشبه المسلك الحيوانى، فنحن نعض بالأسنان عندما تعجزنا الحيلة وتخوننا السواعد، ونحن نتصايح أحيانا كما تتصايح القردة فرحا أو ترحا. ولكن عندما يقدم الإنسان على صقل حجر خام ليحوله إلى فأس يحرث به الأرض، وعندما يحرق جذع شجرة بالنار ليجوفه ويصنع منه قاربا يطفو به على سطح الماء، وعندما يتناول كتلة من الرخام يشكل منها تمثالا للأرباب أو للبشر، فإن هذا كله يشى «بالخطة» ويشير إلى القصد العاقل. ناهيك عن ابتكار أبجدية يسجل بها فعله الإنسانى على أوراق البردى ليحفظ التراث للأجيال التالية.

ومما يسجل لمصر والمصريين أنهم أول من ابتكروا هذه الصيغة العبقرية منذ ستة آلاف من السنين. وهكذا نقشت الكلمة (Logos)، وهى فى بعض المدارس صِنْوٌ للعقل، وقدَّر أصحابها لها قدرها الحقيقى. والكلمة ليست مجرد رسم الصورة أو الحرف، ولا هى مجرد دلالة صوتية أو معنوية، وإنما الكلمة عند مولدها تتزامن مع فكرة فاعلة وإن كانت «صامتة». الكلمة هى رحلة الروح، وتوأم الفعل.. هى الماضى والحاضر والمستقبل جميعا، هى الذكرى والعبرة والدرس، وهى أيضا أداة الغبطة وتبادل المشاعر الإنسانية النبيلة. والكلمة هى التى أقامت ببنيتها قصور الحكمة فى المعابد المصرية وفى الأساطير وفى الحكم والأمثال.

لقد توصل المؤرخ الكبير «أرنولد توينبى» إلى أن الحضارة المصرية قد حققت ما حققت من معجزات دون أن تتلمس فى دربها الطويل علاقات «بنوة» لحضارات أخرى معاصرة أو مجاورة. وهى من صنع الإنسان المصرى الذى عرف كيف يروض ويستفيد من خير نيله الكريم الخالد.

والمصرى - على حد تعبير جمال حمدان - «مخلوق نهرى يضرب بجذوره فى طين الوادى، أشبه ما يكون بزهرة اللوتس - قريته هى وطنه ومهما يشقى فيها يشق عليه أن يهجرها».

إن تطور الشخصية المصرية، كما عبر عن ذلك عمدة الشخصية المصرية د. جمال حمدان، ينطوى على ملحمة من الكفاح الجبار، اكتملت قسماته على مدار أربعة آلاف من السنين، فإذا نحن أمام المصرى المتحضر، المصرى المتدين، المصرى صاحب أعظم ضمير عرفته البشرية. وإن

٤

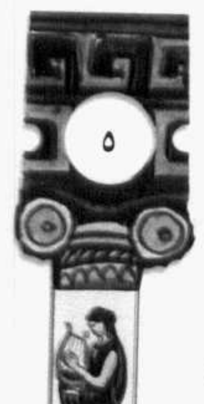
هذه الاستمرارية لا تعنى التكرار بقدر ما تعنى التراكمية، حتى إن العالم «نيوبرى» قد شبه مصر بوثيقة من جلد الرق، الكتب المقدسة فيها مكتوبة فوق هيرودوت، وخلفها جميعا لا تزال الكتابة الهيروغليفية مقروءة جلية.

يقول العالم «فلندرز پترى»: «ما من شك فى أن المصرى القديم كان يملك ضميرا حيا لا نكاد نجد له مثيلا فى الحضارات الأخرى المعاصرة أو اللاحقة.

إن ما نعنيه بالضمير هو فكرة المصرى القديم وقناعاته عن الحق والباطل، وعن الخير والشر. كما أن المثل الأخلاقية النبيلة عند الأجداد هى تلك التى اتسقت مع مصلحة الجماعة ككل، وليست بحال مقصورة على إنسان فرد؛ كل ذلك فى تناغم مع الطبيعة المصرية السمحة من مناخ ونيل وخضرة ونبات وحيوان وأطيار. لقد أدرك المصرى القديم بحكمته أن المثل التى تعود بالخير على المجموع دون تمايز هى التى تبقى وتتوارثها الإنسانية جيلا بعد جيل، وأن الصالح العام هو العنصر الانتقائى للعقل، الذى يضمن لكل ما هو خير ونافع دفعة البقاء، وأن هذا الشعور بالآخر - دون غيره - هو الذى يغرس فى وجدان الفرد والمجموع فكرة الضمير!

حقا! إن مصر قد أعطت العالم كله أبجديتها وفنون هندستها وأساليب طبها ولاهوتياتها، وتقويمها الشمسى. . . - لقد أعطت أرض النيل الكريم للإنسانية أكثر مما أخذت، وإن مصر باقية «مهدا» للحضارة و«فجرا» للضمير، تتجاوز المحن وكيد الأعادى من هكسوس وفرس وأغارقة ورومان وبيزنطيين وصليبيين ومغول وفرنسيس وإنجليز وغيرهم. وكما قال جمال حمدان بحق: ليس فى ماضينا شىء نتبرأ منه، وليس فى حاضرنا شىء نخجل عنه!





أولا
اليونانيون ينقلون عن الحضارة المصرية

تعرضت مصر لمحنة رهيبة منذ أواخر حكم الأسرة الخامسة والعشرين الفرعونية على أيدى الآشوريين والبابليين والكلدانيين ثم الفرس تباعا: فلقد هجم إسار حدون الآشورى (٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق م) على مصر وتطاول على مدينة منف العتيدة سنة ٦٧١ ق م. وأعقب هذه الهجمة بحملة أخرى سنة ٦٦٩ ق م، ولكنه ـ لحسن الحظ ـ قد هلك أثناء تلك الحملة. بعد ذلك ابتليت مصر بمطامع الملك نبوخذ نصر الكلدانى (٦٠٥ ـ ٥٦٢ق م) فى موقعة قرقميش، والحملة على مصر نفسها سنة ٥٨٧ ق م. وفى سنة



الإله تحوتى (إله الكتابة والحكمة) عند المصريين القدماء



الإله المصرى القديم بتاح

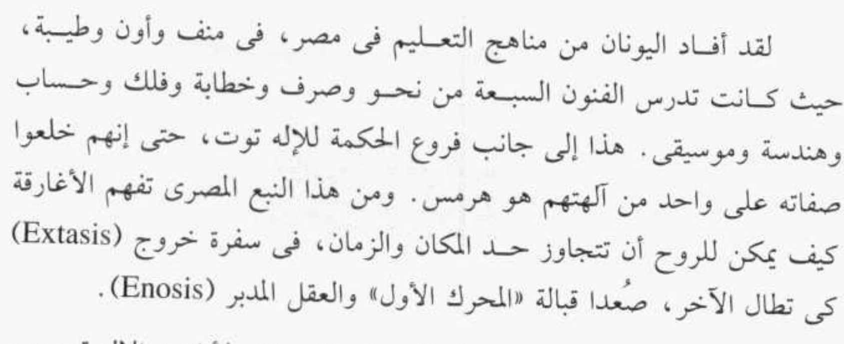


٥٣٩ ق م تعاظمت قوة فارس، وتمكن ملك الفرس قورش من تحطيم قوة الكلدانيين تماما وقضى على آخر ملوكهم نابونيدوس.

وفى أثناء حكم الأسرة السادسة والعشرين فى مصر (٦٧٢ ـ ٥٢٥ ق م)، هجم الملك الفارسى قمبيز على مصر وأوقع الهزيمة بالفرعون بسماتيك الثالث فى موقعة الفرما (٥٢٥ ق م). ثم جاء من بعده داريوس الأول (٥٢١ ـ ٤٨٦ ق م)؛ وأكزركسيس الأول (٤٨٦ ـ ٤٦٥ق م)؛ وأرتاكسركسيس (٤٦٥ ـ ٤٢٥ ق م)،وقام ثلاثتهم بحملات على مصر. غير أن الأمير المصرى إيناروس من منطقة بحيرة مريوط هبَّ يقاوم الفرس وأوقع بهم الهزيمة فى أول الأمر، ولكن القائد الفارسى ميجابازوس أوقع بالثائر المصرى وقام بصلبه. وظل الفرس جاثمين على صدر مصرخلال حكم الأسرة الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين والثلاثين والحادية والثلاثين (٤٠٤ ـ٣٣٢ ق م)، واكتوت البلاد خلال تلك الفترة ببلايا فارس ملكا بعد الآخر، حتى جاء أرتاكسركسيس الثالث زاحفا على مصر، يحطم المعابد ويقضى على الحرث والنسل، حتى اضطر الفرعون نختانبو الثانى إلى الهروب إلى الحبشة. ورغم محاولة ملك الحبشة كاباش سنة ٣٤١ ق م ضد الفرس، إلا أنهم ظلوا يعيثون الفساد فى البلاد حتى مجىء الإسكندر المقدونى إلى مصر سنة ٣٣٢ ق م.

فى خلال تلك الفترة من الضعف، لجأ الفراعنة إلى استخدام الإغريق جندًا مرتزقة فى الجيش المصرى، من أيونيين وكاريين وغيرهم. كما سمح الفرعون أحمس الثانى (أمازيس) (٥٧٠ ـ ٥٢٦ ق م) لجالية يونانية أن تستقر فى مدينة نقراطيس بالدلتا (مركز إيتاى البارود بمحافظة البحيرة).

ورغم الأحزان التى كانت تكتنف البلاد، فإن عددا وافرا من أعلام الفكر اليونانى قدموا إلى مصر، كى يغترفوا من علومها وأسرارها: ومن هؤلاء طاليس (٦٢٠ ـ ٥٤٦ ق م) الذى اطلع فى مصر على أسرار الفلك وقواعد الهندسة. وفعل نفس الشىء أناكسمندر (ولد سنة ٦١٠ ق م)، كما وفد فيثاغورس (ولد سنة ٥٣٠ ق م) من بلدته ساموس ليتلقى العلم على أيدى كهنة منف وعين شمس وطيبة. أما ديموقريطس (ولد سنة ٤٤٠ ق م) من بلدة ميليتوس فقد قضى سنوات خمس فى مصر، ألف خلالها رسالة عن حضارة مروى الأثيوبية، والأهم من ذلك أنه نشر فيما بعد نظريته عن نشأة الكون والذرة على ضوء ما استفاده من علم فى مصر. ويُعتقد أن أفلاطون أيضا (ولد سنة ٤٢٧ ق م) قد وفد إلى أرض النيل لينهل من عوالم اللاهوت المصرى، وليبلور فى النهاية فلسفته فى الكليات والمثاليات.



لقد أفـاد اليونان من مناهج التعـليم فى مصر، فى منف وأون وطيـبة، حيث كـانت تدرس الفنون السبـعة من نحـو وصرف وخطابة وفلك وحـساب وهندسة وموسيقى. هذا إلى جانب فروع الحكمة للإله توت، حتى إنهم خلعوا صفاته على واحد من آلهتهم هو هرمس. ومن هذا النبع المصرى تفهم الأغارقة كيف يمكن للروح أن تتجاوز حـد المكان والزمان، فى سفرة خروج (Extasis) كى تطال الآخر، صُعدا قبالة «المحرك الأول» والعقل المدبر (Enosis).

كما نهل اليونانيون من صنوف الموسيقى المصرية والأناشيد الإلهية، ومن علوم التنجيـم والطبوغرافـيا. وتعرفوا عـلى علم وظائف الأعضاء والتـشريح وأمراض الذكـور والإناث، والعقاقـير، والآلات الجراحيـة الدقيقـة، والرموز العددية ودلالات العدد، والحكم والأمثال.

كما تعرف الزوار الأغارقة فـى مصر على العناصر الأولى من نار وتراب وهواء وماء، وبأن «الذرة» هى المكون الأصلى للموجودات وبأنها لا تفنى.

ولعل أهم ما أفاد منه أهل اليونان فى لاهوتياتهم ما اطلعوا عليـه فى مصر - فجر الضمير - من واقع ما ورد فى متون الأهرام والتى ترجع إلى الألف الثالثـة قبل الميلاد: وكيف أن سيد منف الإله بتاح أوجـد تاسوع (Ennead) آتوم المؤلف من آتوم نفـسه، وشـو (الهواء) وزوجتـه تفنوت (الندى)؛ وجب (الأرض) وزوجتـه نوت (السمـاء)؛ وأوزوريس وزوجته إيزيس؛ وست وزوجتـه نفـتـيس. وفى حين يمثـل الأربعـة الأول النظام الكونى، يمثل الأربعـة الآخـرون نـظام المسكونة الأرضية. ويقدم كهنة مصر صورة مذهلة للقبة السماوية: ذلك أن شو سيد الهواء قام بفصل نوت (السماء) عن زوجهـا جب (الأرض)، ثم وقف حائلا بينهما يرفع الطبقات العلـيا بيديه القويتين. ولكن جب كان يتحـرق شوقا لزوجته، فـهاج وماج، ومن ذلك ولدت التلال والجـبال. أما نوت (السماء) وقد أضناها الحنين إلـى زوجها (الأرض) فقد رفعت إليها نـفرا من الربات وحولتهن إلى نجوم ترصع بها جـسدها وهى تتلألأ وقت المساء؛ ولكأنهـا بذلك تغازل زوجها البعـيد. وقيل إن جسد نوت من فرط الشوق قد تقوس عند الأفق ولكأنه يلامس الأرض حبا واشتياقا!

هذا، وقد زود المبدع بتـاح الأرباب بالروح الدافقة (كا)، وجعل من القلب مـوضعا للفكر الخلاق، ومـن اللسان أداة النطق للكلمـة (Logos)، التى انبـثقت منهـا العذارى من وصـيفـات الروح، اللائى يسهرن على صيانة فضائل الثبات والصبر والإحساس والتذوق الجمالى!





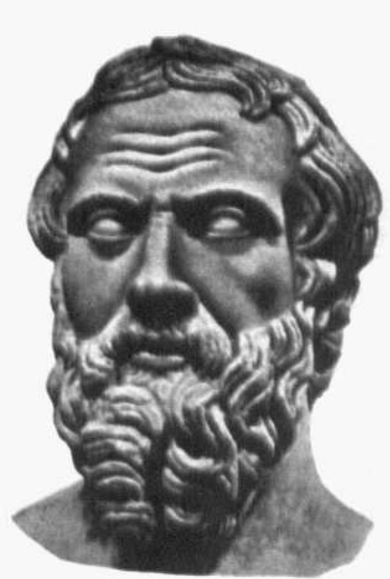
ثانيا هيرودوت فى مصر

قام أبو التاريخ هيـرودوت بزيارة إلى مـصـر ما بين عامى ٤٤٨ ـ ٤٤٥ ق م وذلك أثناء الحكم الفارسى لمـصر على عهد الملـك أرتاكسركسـيز الأول. وكانت هذه الغزوة الفارسـية الثانية لمصر على نفس القدر مـن البشاعة والعنف الذى اكتوت به مصر على يد الملك الفارسى الأسبق قمبيز بن قورش سنة ٥٢٥ ق م فى عهد الفرعون بسمـاتيك. ولقد تجبر قمبيز ـ وكان مجنونا مـصابا بداء الصرع منذ صباه ـ فأساء إلى الفـرعون وابنة الفرعون وسائر الأمـراء، إلى حد أنه ألجم ابنا للفرعون ومـعه ألفان من الشباب كما تلجم الخـيل وقام بإعدامهم فى مدينة ممفيس، كما أنه قـام بذبح العجل أبيس احتقارا لمشاعر المصريين.

ولا يخفى هيرودوت مشاعر الاستياء لهذا المسلك المتوحش ضد شعب عريق التاريخ وأرض طيبة، وفد هو إليها خصيصا لينهل من منابع حكمتها وليرتوى من نيلها الخالد وليتسامر مع كهنتها حول بعض الأسرار المقدسة.

ويعـترف هذا المؤرخ اليـونانى الكبيـر أنه لم ير على وجه البسيطة شعبا متـدينا كشعب مصر، فالإيمان يسرى فى عروق المصريين كما يسرى الماء فى نهر النيل.

أما **كهنة مـصر** فإنهم يحلقـون شعر أجـسادهم كل يومين، وهم يرتدون الملابس الكتانية النظيفة وينتعلون أحذية من نبات البردى، وهم **يستحمـون فى الماء البارد مرتين** كل نهار ومرتين أثناء الليل. والمصريون جميعا **يختتنون** حبا فى الطهر والنظافة. ولسان المصريين **لسان عفيف** فهم لا يسبون أحدا ولا يلعنون شيئا ألبتة، بل يكتفون فى لحظات الغضب بالابتـهال إلى الآلهـة أن تقـتص لهم من شرور الآخـرين. والمصريون حريصون على الاغتسال قبل دخول المعابد حفاظا


هيرودوت

على قدسية أماكن العبادة. وهم أيضا **يشفقون علـى الحيوان والطير** ويحرمون الاعتداء أو الجور عليها. وأهل مـصر يسجلون الأحداث أولا بأول، فهم (فى تقدير هيـرودوت) أفضل المؤرخين. ومن عاداتهم أن يتناولوا شـربة مطهرة كل شهـر، اعتـقادا منهـم بأن المعدة هى بيت الداء. وهم فى أحـزانهم يحـركون مشاعر الأسى، ويرجع أشهر بكائياتهم إلى زمان بعيد يوم أن فقد أول ملوكهم ابنا عزيزا له، فراح وشعبه ينوحون عليه طويلا، والابن الفقيد هو «**مانا روس**» الذى يسميه الأغارقة لينوس. وشباب مصر **يوقرون فى إجلال وود كبار السن** ويفسحون لهم الطريق، ويهمون وقوفا فى الأماكن العامة ليجلس الكبار. وفى تبـادل التـحيـة ينحنى المصـريون انحنـاءة وقورة مع لمس الركـبـة باليـد تأدبا واحتشاما.

والمصـريون عبـاقـرة فى المعمـار والبناء، فهم أمـة تبنى، ولهم فى علوم الفلك والحساب والتقويم وقراءة الطالع باع كبير. أما عن **تحنيط جثث الموتى** بالزيوت والأعشاب والصمغ والنطرون فهذا عجب عجاب!

ومصر **أرض وفادة وكـرم للغريب**؛ فلقد سمع هيـرودوت من كهنة عين شمس أن بارس الأميـر الطروادى الذى كان قد اخـتطف هيلين زوجة مـضيفه مـنيلاوس ملك أسبـرطة، قد جنح بسفينته ورسى على شواطئ مصر. ولما أن علم فرعون مصر بخبره وسره، عنفه تعنيفا شديدا على فعـلته النكراء فى حق مـضيـفه، وطلب منه مـغادرة البـلاد بغيـر سوء. وفى رواية أخـرى علم هيرودوت من كهنة مـصر أن هيلين نفسها، بعد أن دمرت طروادة علـى يد الإغريق، قصدت إلى أرض مصر، فأهداها الكهنة عباءة ومغزلا.

ويعبـر هيرودوت عن صدمـته الكبرى عند سـماع رواية أخرى عن مـسلك منيلاوس ملك أسبرطة: فلمـا أن علم منيلاوس بخبر وصـول زوجته هيلين إلى مصر، أبحـر مسرعا ليتـسلمها،

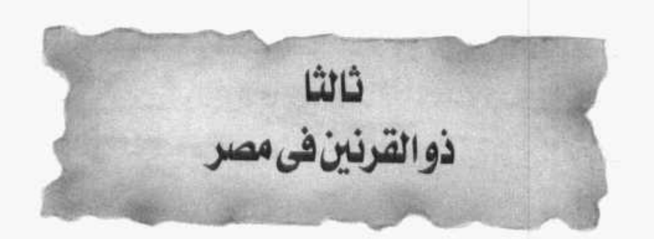


ما زال التحنيط معجزة تبدو فى آثاره المتبقية فى حالة جيدة

(مومياء من العصر البطلمى)



وعند رحيله مصطحبا زوجته هبت ريح معاكسة أوقفت مراكبه. فما كان من منيلاوس إلا أن اختطف صبيين مصريين ثم قدمهما أضحية لآلهة الرياح والزوابع، ثم أبحر بعد هذا هاربا مع الريح إلى بلاده. ويعقب هيرودوت على تلك الرواية بأن هذا الفعل الشائن من جانب منيلاوس لابد وأن يجعل أهل مصر ينعتون «هؤلاء الأجانب» بالتبربر، ولهم فى هذا كل الحق!.



ثالثا
ذو القرنين فى مصر

استعرت الحرب بين الفرس واليونان ما بين عامى ٤٩٠، ٤٧٩ ق م، وشهدت بلاد اليونان وشطآن آسيا الصغرى قتالا شرسا فى البر والبحر بين المعسكرين. ومن أشهر المعارك كانت معركة ماراثون (٤٩٠ ق م)، وثرموبولاى (٤٨٠ ق م)، وسالامس (٤٨٠ ق م)، وبلاتايا (٤٧٩ ق م). وكان الفرس فى بداية الأمر سادة الميدان تحت إمرة ملكهم اكزركسيس بن دارا. ولكن اليونان بقيادة ثيموستكليس وأرستيديس نجحوا فى دحر الأسطول الفارسى فى نهاية الأمر، واضطر الملك الفارسى - الذى كان يرقب سير المعارك تحت ظلال جبل ميكالى فى آسيا الصغرى، إلى التسليم بالهزيمة، فتقهقر إلى بلاده، ثم ما لبث أن اغتيل فى قصره سنة ٤٦٥ ق م.

ثم قدر لبلاد اليونان أن تجتمع تحت راية واحدة بيد من الحديد هى يد الإسكندر المقدونى بن فيليب من زوجته أولمبياس (٣٥٦ - ٣٢٣ ق م). وطبقا لرواية المؤرخ بلوتارخ فإنه فى يوم مولد الإسكندر تركت الربة ديانا معبدها فى أفيسوس للإشراف على هذا المولود العجيب، وفى أثناء غيابها اشتعلت النار فى المعبد. ولما أن شاهد الناس ألسنة الحريق تلتهم المعبد لطموا وجوههم ورأوا فى الحريق نذير سوء لقارة آسيا كلها!

وبعد أن أخضع الإسكندر كل دويلات المدن الإغريقية تحت لوائه، قام بزيارة لمدينة كورنثا فى موكب مهيب، فهرع الجميع لتحية البطل المقدونى. غير أن واحدا فقط ظل فى موضعه متمددا يتنعم بدفء أشعة الشمس، وذلكم هو الفيلسوف الزاهد ديوجنيس. ولقد استشاط الإسكندر غضبا لهذا المسلك، فترجل من على صهوة جواده واقترب من الفيلسوف وخاطبه قائلا: «يا معلم! ألا تطلب منا شيئا؟. فرد الفيلسوف عليه بقوله: «أجل أطلب منك أن تبتعد عنى لأنك تحجب

عنى أشعة الشمس». وتعجب الإسكندر من حكمة ديوجنيس، وأخذ يهتف وسط قهقهة ضباطه وجنرالاته: «لو لم أكن الإسكندر لاخترت أن أكون الزاهد ديوجنيس!».

والحق أن الإسكندر كان قد تلقى تربية فريدة على يد أستاذه أرسطو، وقيل أنه كان يضع إلياذة هومر تحت وسادته، وهذه النسخة من الإلياذة كان أرسطو قد راجعها لتلميذه الواعد بنفسه.

استأنف الإسكندر الحرب ضد فارس واستولى فى طريقه على مناطق قبادوقيا وقيليقيا وطرسوسة، ثم أوقع هزيمة نكراء بالملك الفارسى دارا الثالث فى معركة إسوس Issus سنة ٣٣٣ ق م، وهرب دارا بعد الهزيمة، ووقعت والدته وزوجه وابنتاه فى الأسر.

وبعد فرار دارا وسقوط مدائن الفرس الواحدة تلو الأخرى، قرر الإسكندر أن يتجه إلى مصر لتحريرها من قبضة الفرس، وفى زحفه استولى على بلدان فينيقيا. وفى خريف سنة ٣٣٢ ق م وصلت كتائب الإسكندر إلى مدينة الفرما وألحقت الهزيمة بجند مازاكيس الوالى الفارسى لمصر. وبعد هذا النصر قصد الإسكندر إلى مدينة منف عاصمة مصر ليقدم القرابين والشكر للآلهة المصرية، وتقول بعض الروايات أن تاج آخر الفراعين نختانبو (٣٤٣ ق م) سقط من الموضع المعلق عليه ليزين رأس الإسكندر، فاعترف به المصريون خلفا للفراعين!

ومع اختلاط الأسطورة بالواقع التاريخى على أرض الأساطير القديمة، نطالع أيضا أن الشاعر هوميروس المحبب إلى فؤاد الإسكندر قد ظهر له فى المنام وكرر عليه بيتين من ملحمته الأوديسة، حيث الإشادة بعبقرية موقع جزيرة فاروس المصرية فى حوض البحر المتوسط:

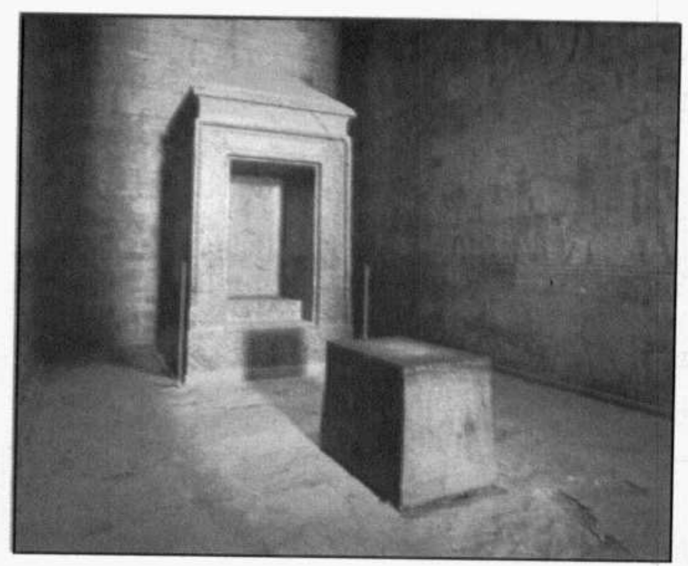
" An island lies, where loud the billows roar

Pharos they call it, on the Egyptian shore"

وهكذا ولدت فكرة تأسيس مدينة الإسكندر (الإسكندرية) على قرية راقودة على شاطئ البحر المتوسط لتصبح عروسا للبحر ليس مثلها عروس. وقد عهد الإسكندر الأكبر لمعمارى مرموق يدعى دينوكراتيس بتخطيط المدينة، ويحكى أن شوارع الإسكندرية قد رُسمت بدقيق القمح بدلا من الجير، فهبطت حومة من طيور السماء تلتقط من حبات الدقيق نصيبا. وفسر العرافون تلك الإشارة بأن المدينة الوليدة سوف تصبح مخزنا للغلال، ومرضعة لحوض البحر بخيرها العميم!.

بعد ذلك قام الإسكندر برحلة إلى واحة سيوة، حيث معبد كبير الآلهة المصرية آمون. ويروى أن سربا من الطيور كان يحلق فوق موكب الإسكندر يرشد خطاه إلى مرماه. وفى المعبد سمح للإسكندر بالدخول إلى قدس الأقداس، ثم خاطبه كاهن المعبد بقوله: «يا بنى!» بدلا من

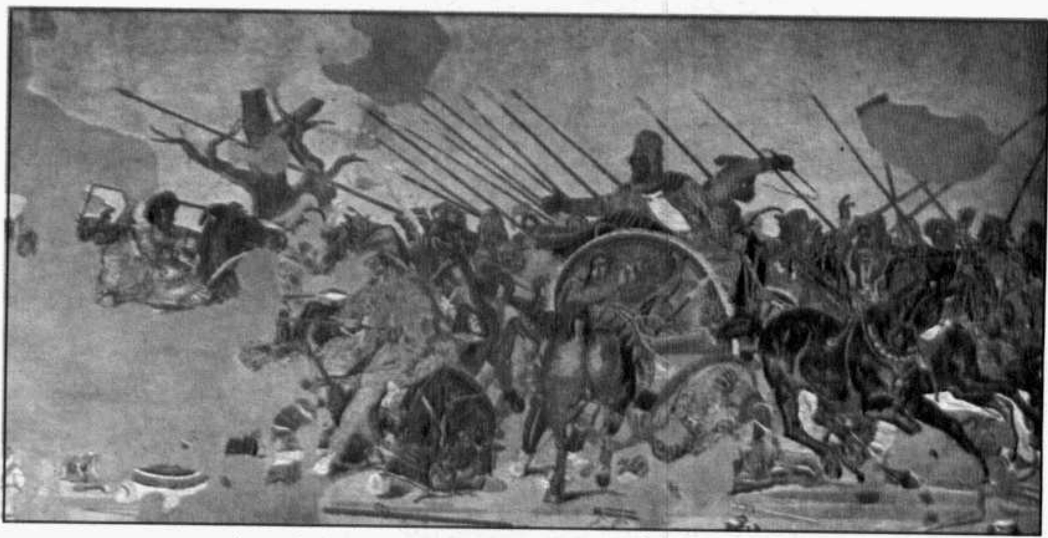




قدس الأقداس
بمعبد أدفو

قـوله: «أيها الشـاب»: (O paidios X O paidion). وقد صـادفت هذه الغلطة النحـوية فى الأجرومية اليونانية كل الترحـاب فى نفس الإسكندر، واعتقد أن آمون قد اتخذه له ابنا. والحق أن أولمبياس والدة الإسكندر ـ طبقا للـروايات ـ ظلت من قديم تلح عليه بأنه ينحدر من صلب زيوس الذى هو آمون المصـرى. وقد قيل أيضا أن آمون قـد طمأن الإسكندر على سلامة نـسبه الإلهى، وبأنه سوف يصـبح سيدا للعـالم. ولما كان رمز آمـون هو الكبش ذو القرنين، فلربما اكـتسب ابنه الإسكندر لقب «ذى القرنين» من صلة نسبه بآمون نفسه.

ولما أن فرغ الإسكندر من تدابير حكم وإدارة شئون مصر وتأمين حمايتها، عهد إلى صديقه بطليمـوس بن لاجوس بالولاية على مـصر والإشـراف على استكمال بناء الإسكـندرية، ثم غادر



معركة الإسكندر الأكبر والملك الفارسى دارا - فسيفساء رومانى






عملتان فضيتان عليهما الإسكندر الأكبر



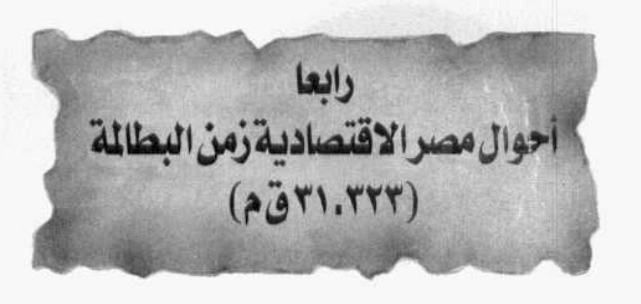

عملة عليها بطليموس الثانى *عملة عليها بطليموس وأرسينوس*

مصر ليواصل حروبه فى فارس ثم الهند. وبعد طول طواف وفتح وجدل مع فلاسفة الهند يعود ذو القرنين إلى مدينة بابل، وهنالك تلدغه بعوضة، وهكذا كان مقتل فاتح الشرق والغرب فى سنة ٣٢٣ ق م!

وباختفاء البطل من مسرح الأحداث، يتقاسم نوابه وضباطه حكم الإمبراطورية الكبرى، فى مقدونيا وآسيا الصغرى والعراق والشام، ثم فى مصر التى كانت من نصيب صديقه بطليموس بن لاجوس المقدونى. ويتولى بطليموس نقل جثمان ذى القرنين من بابل إلى مدينة منف، وبعد اكتمال مدينة الإسكندرية ينقل الجثمان ليدفن فيها كما يليق بالفاتح العظيم. وطبقا لرواية سيوتونيوس (القرن الأول للميلاد) فإن أوكتافيانوس أغسطس قد زار قبر الإسكندر ووضع على رأسه تاجا من الذهب، ونثر على جسده الزهور! ولربما أن الإسكندر كان قد أوصى أن يحنط جسده كما كانت العادة عند الفراعين، وخاصة بعد أن صار «ابنا» لآمون!



تمثال حصان إسيلين (ربة الغجر) وجد على واجهة البارثينون - أثينا





كان الحكم البطلمى لمصر حكما بيروقراطيا صارما، وصارت أرض مصر ضيعة للبطليموس وكبار موظفيه وقواد جنده المرتزقة. وتغلغل الإقطاع والإقطاعيون فى قلب الريف المصرى، فظهرت الضياع والوسايا والأبعاديات. واتبعت الحكومة نظام الاحتكار فى الزراعة والصناعة والتجارة، كما احتكرت المصارف أيضا. وصار لزاما على الفلاح المصرى أن يدفع جزءا من محصول أرضه ضريبة، وأن يسلم ما تبقى إلى شونة التاج (Thesauros)، وربُط العمال إلى مصانع الزيت والمعاصر لا يبرحونها. واحتكر البطالمة أيضا صناعة المنسوجات من الصوف والقنب. أما التجارة الخارجية، وعلى رأسها تجارة القمح والرخام والتوابل فكانت حكرا خاصا على الملك.

كل هذا ووطأة الضرائب تزداد ثقلا على كواهل الناس من خاصة وعامة، مما أدى إلى تردى الأوضاع، ومع ابتلاء البلاد بنقص متكرر فى منسوب فيضان النيل هجر الكثير من الفلاحين قراهم وأرضهم وهاموا على وجوههم، كما أحجم البعض عن الزواج.

ولقد سك البطالمة عملة نحاسية لمواجهة التضخم الذى أصاب عملة الدرخمة. كذلك أجبر البطالمة المصريين على السخرة فى مختلف مشاريعهم كحفر القنوات وإقامة بعض السدود.

ويورد الأستاذ الدكتور إبراهيم نصحى - عمدة تاريخ مصر فى عصر البطالمة - العديد من البرديات فى مؤلفاته تكشف كيف أن البطالمة فضلا عن الضرائب والمكوس والعوائد التى فرضوها على الزراعة والصناعة والتجارة، قد فرضوا أيضا على الأهالى ضرائب أخرى متعددة؛ على المبانى وأدوات الحقل من فأس وشادوف، وعلى تسجيل العقود وانتقال الحيازة، وعلى الأيلولة والوراثة، إلى جانب ضريبة الرأس (Epikephalion)، مع تقديم الهدايا لحامل التاج فى مختلف المناسبات (Xenia).





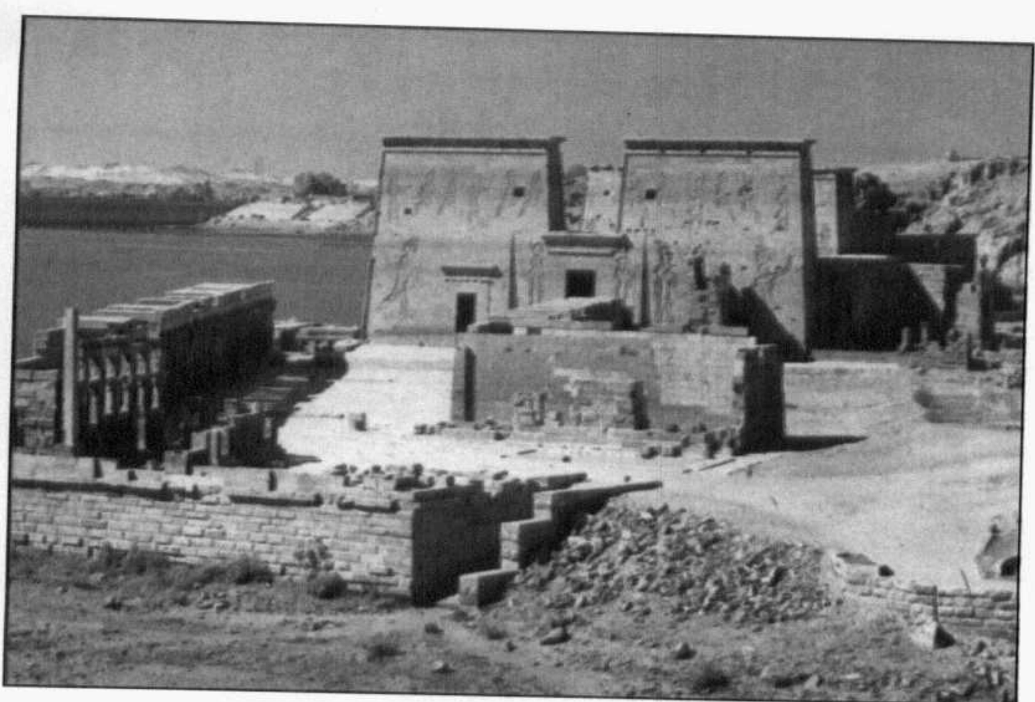
خامسا
المصريون ثائرون

نهج الملوك البطالمة فى حكم مصر والمصريين نهجا مخالفا لسياسة الإسكندر التى اتسمت بالتسامح. والحق أن المصريين رأوا فى خلفاء ذى القرنين قيدا أجنبيا جديدا وإن كان أقل مرارة من بطش الفرس من قبلهم. ولقد عمل البطالمة ومعهم المستوطنون من بنى جلدتهم وعمومتهم على التفرقة بين الأغارقة وبين أهل البلاد رغم ما كانوا يذيعونه بين الحين والآخر من بيانات ونقوش معسولة لم تنطل على أبناء مصر. فلقد ألف أثرياء الأغارقة ومن لفوا لفهم فى الإسكندرية عصبة أرستقراطية تميزهم عمن سواهم من جنس البشر، وعرفت هذه الجماعة باسم «بولتيوماتا» Politeumata؛ التى تمتعت بالعديد من الامتيازات والإعفاءات. أما المصريون فقد حرموا - اللهم إلا فى النادر - من مناصب الدولة العليا ومن الخدمة فى الجيش فى بداية العهد، وشيئا فشيئا أخذت بقايا الأسر المصرية النبيلة فى الاندثار تماما.

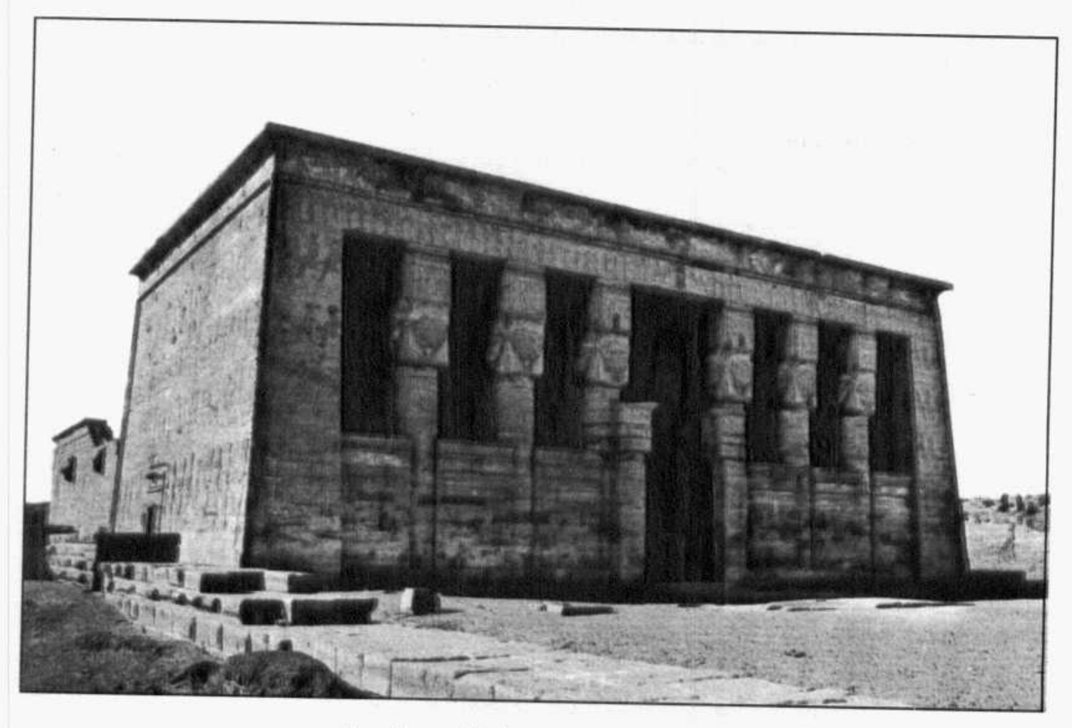
على أنه رغم هذا التوجه الظالم، بقى المصريون بكافة شرائحهم مستمسكين بعقيدتهم وآلهتهم وتقاليدهم وعاداتهم، ولم تفلح محاولات البطالمة فى أغرقة مصر، وظلت المدارس والمعاهد الملحقة بالمعابد المصرية فى الدلتا والصعيد تؤدى رسالتها فى ترسيخ التراث المصرى التليد فى قلوب شباب مصر، إيمانا من أهل مصر أن البوتقة المصرية كفيلة بصهر أى معدن خبيث وذوبانه فى التراث المصرى الكبير الذى بدأت ملامح حضارته فى الألف الخامسة قبل الميلاد قبل أن تولد الهلينية بألوف السنين.

لقد اعتبر الملوك البطالمة أرض مصر ضيعة للتاج البطلمى، وراحوا يثقلون كواهل القرى والنجوع والكفور بالضرائب، فضج الناس من هذا الكابوس الوافد من وراء البحر.

ومنذ بداية الاحتلال الهلينى لمصر، ظهرت نبوءات من داخل المعابد المصرية تبشر بقرب تحرير الأرض من الأغراب. وسرعان ما تفجرت الثورات عندما أقدم البطالمة على مصادرة بعض



معبد فيلة بأسوان - نظرة إلى المعابد المصرية فى العهد البطلمى
تدل على ذوبان الحضارة الهلينية فى الحضارة المصرية



معبد حتحور بدندرة - العصرين البطلمى والرومانى

الأراضى والعقارات المصـرية. وفى عهد بطليمـوس الرابع نشب صراع شرس بين البطالمة وملوك سلوقـية (والواقع أن الصـراع بين خلفاء الإسكندر قـد جر الوبال على مقدونيا واليونان وآسيا الصغرى والعراق والشام وفلسطين ومصر)، ولكى يواجه بطليموس الرابع قوات خصـمه السلوقى أنطيوخوس الثالث الذى بات يهدد مصيـر البطالمة فى مصر، فإنه لجأ إلى تجنيـد عدد وافر من المصريين بلغ عشـرين ألفا لمواجهة الموقف الحـرج. وتتحدث المصادر عن البـلاء الحسن الذى أبلاه الجنـد المصـريون فى مـعـــركـة رفح سنة ٢١٧ ق م ضـــد قـوات أنطيوخوس، والتى انتهت بنصر بطليموس الرابع.

وكان نصر رفح مهمازا حرك وجدان أهل مصر وأعاد الثقة إلى نفوسهم من جديد. والمعروف عن بطليموس الرابع هذا أنه كان شـابا فاسقا متهتكا هو ووزيره الأبد سوسبيوس، كمـا أن رائحة الفساد الملكى بين بطليموس وخليلته أجاثوكليـا وشقيقها أجاثوكليز وأمهمـا، قد ضاعفت من مشاعر الكره والاشمئـزاز فى نفوس المصريين تجاه هذا البيت البطلمى الكريه. ولعل هذا هو السـبب الذى جعل بطليـموس الرابع يحـاول استرضـاء المصريين والتخفيف من حقهم بنقش يقول:

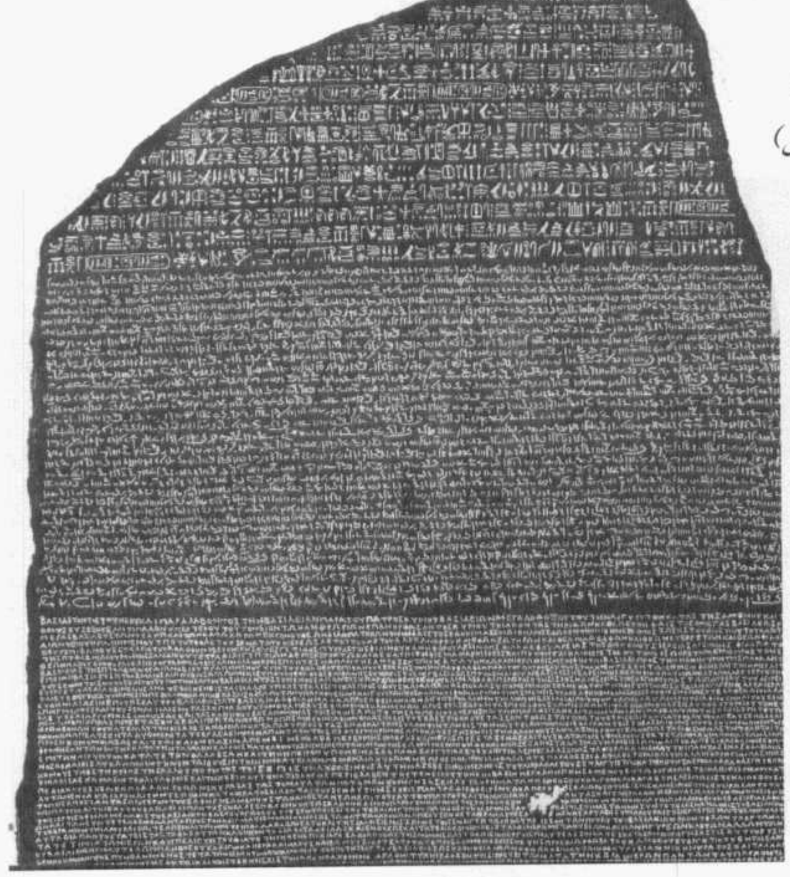


بطليموس الرابع يقدم القرابين للإله حورس - معبد إدفو

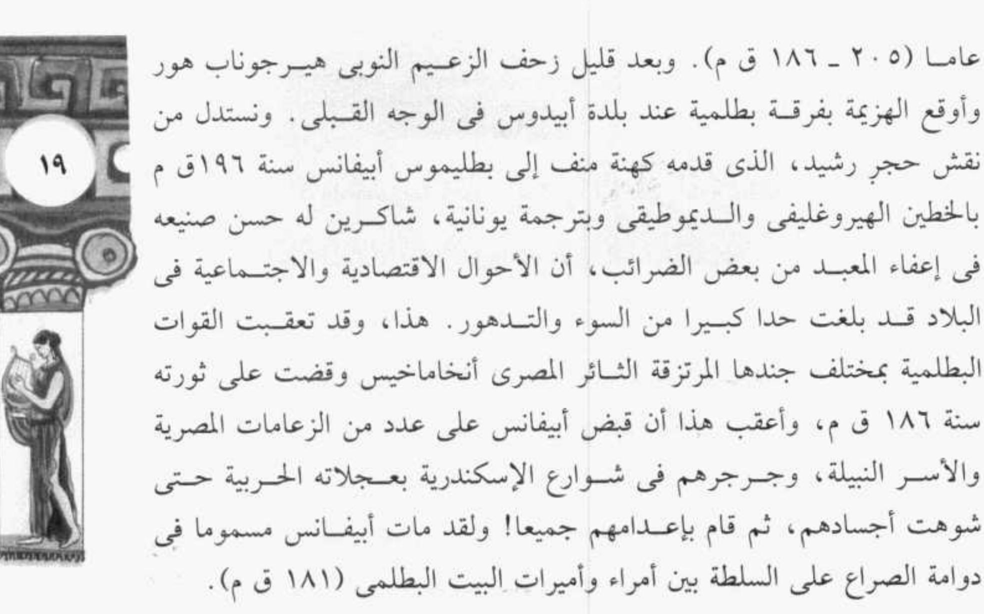


«من حورس الفتى القوى والابن البار لأبيه ـ ملكٌ من ملك ـ صاحب تيجان الأفعى المقدسة ـ المهيب الجانب، الوفى المخلص الضارع للآلهة ـ قاهر الأعداء ـ صاحب النعم على أرض مصر ـ حامى المعابد، وموطد القوانين التى سنها توت الخالد من القديم ـ مثيل بتاح الكبير ـ شبيه الشمس ـ ملك الوجهين القبلى والبحرى ـ من سلالة الآلهة الكريمة ـ ربيب الرب بتاح الذى نصره على العدو ـ الصورة الناطقة لآمون العظيم ـ ذلكم هو الملك بطليموس، الحى أبد الآبدين، والمحبوب من إيزيس».

على أن هذا النقش المعسول لغةً لم ينطل على المصريين، واندلعت موجات الغضب تباعا، وباتت مدينة طيبة وكهنة آمون معقلا للثورة. ففى سنة ٢٠٧ ق م ظهر زعيمان مصريان هما أرماخيس وأنخاماخيس، يؤازرهما أبناء النوبة، وأعلنا الثورة على الحكم البطلمى، وانفصلت طيبة عن نفوذ السلطة البطلمية لمدة عشرين



حجر رشيد



عامـا (٢٠٥ ـ ١٨٦ ق م). وبعد قليل زحف الزعـيم النوبى هيـرجوناب هور وأوقع الهزيمة بفرقـة بطلمية عند بلدة أبيدوس فى الوجه القـبلى. ونستدل من نقش حجرِ رشيد، الذى قدمه كهنة منف إلى بطليموس أبيفانس سنة ١٩٦ق م بالخطين الهيروغليفى والـديموطيقى وبترجمة يونانية، شاكـرين له حسن صنيعه فى إعفاء المعبـد من بعض الضرائب، أن الأحوال الاقتصادية والاجتـماعية فى البلاد قـد بلغت حدا كبـيرا من السوء والتـدهور. هذا، وقد تعقـبت القوات البطلمية بمختلف جندها المرتزقة الثـائر المصرى أنخاماخيس وقضت على ثورته سنة ١٨٦ ق م، وأعقب هذا أن قبض أبيفانس على عدد من الزعامات المصرية والأسـر النبيلة، وجـرجرهم فى شـوارع الإسكندرية بعـجلاته الحـربية حـتى شوهت أجسادهم، ثم قام بإعـدامهم جميعا! ولقد مات أبيفـانس مسموما فى دوامة الصراع على السلطة بين أمراء وأميرات البيت البطلمى (١٨١ ق م).

وفى سنة ١٦٥ ق م نشب صراع بين الملك بطليموس السـادس (فيلوماتور أى المحب لأمه) وبين شقـيقه بطليـموس يورجيـتيس الثانى، فانـتهز نبيل مـصرى كان ملحـقا ببلاط الملك اسـمه بتوسرابيس الفرصة، وراح يخطط للخلاص من الأخـوين المتنازعين. ولكن فيلوماتور كشف الأمر فصالح أخاه، واضطر الزعيم المصرى إلى الهرب من الإسكندرية حيث التف من حوله الآلاف من الشبـاب، ولكن كتـائب البطالمة قـضت عليهم. وفى نفس الوقت هبـت ثورات أخرى فى طيـبة وأخمـيم، وفى سنة ١٤٥ ق م هبت ثورة أخرى فى الفـيوم، وبعدها شـهدت الإسكندرية نفسـها ثورة مشابهة سنة ١٣١ ق م، وقت الصـراع بين بطليموس الثامن وأخته كليـوبترة الثانية. إن هذه الثورات المتعاقبة تقف دليلا دامغا على أن الشعب المـصرى بمختلف شرائحه من أرستقراطية وكهنة وفلاحين وحرفـيين قد رفضوا الجـسم الهلينى الغريب على أرض مصـر التى آوتهم فكانوا لأهلها جاحدين.

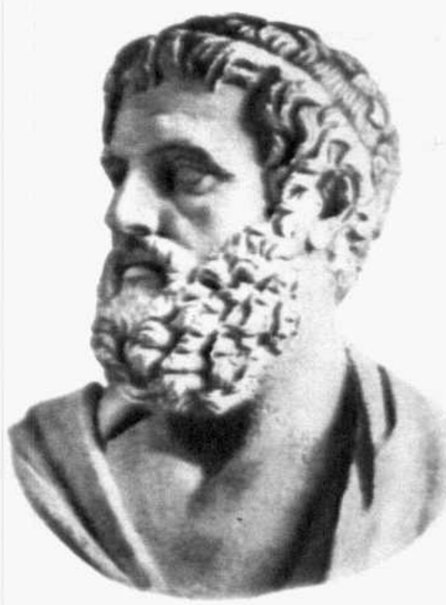


سادسا
الإسكندرية منارة البحر الأبيض المتوسط

يذكر لبطليموس الأول (سوتير أى المنقذ أو المخلِّص) أنه كلف عالما يدعى ديمتريوس من مواطنى فاليروم (Phalerum) بإنشاء معهد علمى ومكتبة حول الحى الملكى فى الإسكندرية لتصبح أكاديمية للعلم والعلماء ومحبى الفنون والآداب. وقد أطلق ديمتريوس على هذه المؤسسة العملاقة اسم «موسيون» (Mouseion) نسبة إلى بنات زيوس من زوجته منموسينى (Mnemosyne)، وعددهن تسع وهن: كاليوبى ربة الشعر الملحمى؛ كليو ربة التاريخ؛ يوتريبى ربة المزمار؛ ملبومينى ربة التراجيديا؛ تيرپسيخورى ربة الرقص؛ إيراتو ربة القيثارة؛ پوليهمنى ربة الأناشيد المقدسة؛ يورانيا ربة الفلك؛ ثاليا ربة الكوميديا.

وتقول الأسطورة إن تسع ربات أخريات باسم «بيريديز» (Pierides) ـ بنات الملك المقدونى پيروس (Pierus) ـ دخلن فى تحد غنائى ضد الربات من بنات زيوس، وبسبب هذا التطاول الوقح مُسِخْنَ جميعا إلى غربان!

وبمرور الوقت صار هذا المعهد الأكاديمى بمثابة جامعة للأبحاث، ومحطا للعلماء من مختلف البلدان، حيث الأروقة والنزل والمطاعم والأرزاق السخية. وقد تولى رئاسة هذه الأكاديمية فى البداية اثنان من تلامذة أرسطو هما ديمتريوس وستراتون. أما المكتبة فقد أقيمت بجوار المعهد، وزودها البطالمة بالعديد من أصول روائع الأدب اليونانى القديم وفى مقدمتها النسخ الأصلية لأعمال الشعراء الأفذاذ إسخيلوس، وسوفوكليس، ويوربيديس. هذا، وقد أجبر بطليموس الأول كل من يحط رحاله فى الإسكندرية أن يسلم ما يحمله من كتب إلى المكتبة



«سوفوكليس»

ليتولى النساخ خط نسخ منها لتزويد وإثراء المكتبة السكندرية. ويقدر عدد الكتب التى احترقت بفعل حرق يوليوس قيصر للأسطول البطلمى سنة ٤٨ ق م بقرابة نصف المليون. ومن ذخائر هذه المكتبة كانت لفائف ملحمتى الإلياذة والأوديسة للعبقرى هوميروس (القرن التاسع ق م)، وأشعار هزيود وبندار وحوارات أفلاطون، وكانت جميعا مفهرسة ومحققة بفضل عالمين هما زونودوتوس وكليماخوس. وفى هذه الأكاديمية التى فاقت شهرتها شهرة أكاديمية أثينا نفسها، انتعشت جميع فروع العلم والمعرفة:

ففى مجال الشعر حرص فيليتاس، وكان مربيا لبطليموس الثانى، على إحياء فنون الشعر القديمة، وأشعار الريف، وشعر المسرح، والشعر الدينى، وأشعار الحماسة والملاحم البطولية، وشعر الكوميديا، وشعر الإبيجراما Epi-gramma أى الأشعار التى تنقش على ضريح الموتى وبعضها للآلهة أيضا، ، وقد برز فى هذا الميدان كل من كاليماخوس وديوسقوريدس. هذا إلى جانب أشعار عن الحب القديم ومناجاة الأرباب والربات وتقدمة القرابين والأضحيات.

وفى التاريخ اهتم العلماء بتسجيل تواريخ دويلات المدن اليونانية، وحفلات البلاط البطلمى، وبناء السفن وإقامة المعابد والمسلات، وأهم الأحداث التى كانت تقع فى قارتى آسيا وأوروبا، وقصص البطولة القديمة وصولا إلى الإسكندر الأكبر، وتاريخ مصر القديمة وعقائدها.



رسم تخطيطى لمنارة الإسكندرية



ويبرز هنا اسم المؤرخ هكتايوس فى زمن بطليموس الأول الذى يعترف صراحة بأن اليونان قد نقلوا عن المصريين فى العمارة وفن النحت والقانون والأساطير. كذلك كلف بطليموس الأول الكاهن المصرى مانيتون بوضع تاريخ لمصر القديمة باللغة اليونانية. أما المؤرخ أراتوسثينيس (٢٧٥ - ١٩٤ ق م) وكان أمينا لمكتبة الإسكندرية فقد وضع كتابا بعنوان «الأزمنة» Chronographia فى تسعة أجزاء بدءا بحرب طروادة حتى الإسكندر الأكبر، إلى جانب تاريخ ملوك أسبرطة القدامى.

وكان هذا الرجل أراتوسثينيس متعدد المواهب، فقد كان أيضا جغرافيا لامعا، وقد قدَّر محيط الأرض بـ ٢٤,٦٦٢ ميلا، وقطرها بـ ٧٨٥٠ ميلا. كما وضع العالم الجغرافى فيلوستيفانوس كتابا عن نشأة الجزر والمدن والأنهار.

وفى مجال الفلسفة برز عدد وافر من محبى الفلسفة وطلابها وفلاسفتها أيضا: من مشائين، ورواقيين، وأبيقوريين وسفسطائيين، وشكاكين، وأفلاطونيين جدد.

وفى الطب انتعشت من جديد مدرسة أبوقراط (قرن ٥ ق م) صاحب قواعد الطب، ونمت النظرة التجريبية التى ألحَّ عليها أرسطو. وقد استرشد علماء العصر بحكمة مصر القديمة وأسرارها فى الطب والتحنيط والمداواة. كذلك تخصص البعض فى علم التشريح، ووظائف الأعضاء، وتوصل العالم هيروفليوس إلى أن الشرايين تحمل دما لا هواء كما كان يظن فى القديم، كما أنه قد ابتكر أدوات لقياس نبض القلب، وأدوات أخرى لإجراء العمليات الجراحية. كذلك يسجل لعالم يدعى هيراقليدس أنه كان حاذقا فى تركيب العقاقير الطبية من الأعشاب، وفى تحضير المسكنات وعقاقير أخرى لتخدير المرضى.

وفى الرياضيات نعلم أن بطليموس الأول استدعى العالم أقليدس إلى الإسكندرية، وهكذا انتشر كتابه «العناصر» فى الهندسة، ونمت الأبحاث والنظريات حول الفروض والبديهيات، وحجم الأهرام والمخروطات والمنشورات، وتوصل واحد من تلامذة إقليدس يدعى هيپارخوس إلى حساب المثلثات، وتحديد طول الشهر القمرى، وموعد الاعتدالين الربيعى والخريفى.

كذلك وصل إلى الإسكندرية زائرا العالم المرموق أرشميدس (ولد فى صقلية سنة ٢٨٧ ق م)، وهو صاحب نوادر عديدة، فقد قيل أنه اكتشف الكثافة النوعية وهو فى واحد من الحمامات العامة فى بلدته سراقوسة، فقفز عاريا وسط الشوارع نحو داره ينادى زوجته صائحا: «لقد وجدتها!». ويذكر لأرشميدس أنه أثناء إقامته فى مصر قد ابتكر طريقة لإنزال السفن إلى البحر بواسطة البكر، وأنه اخترع الطنبور لرفع الماء، وبأنه توصل إلى نسبة محيط الدائرة إلى قطرها، وبأنه حسب ميقات كسوف الشمس وخسوف القمر.

وقد قتل هذا العـالم الفذ على يد جندى رومانى جاهل أحـمق ـ كعادة الرومان ـ عندما هجم الجند الرومان على مـدينة سراقوسة سنة ٢١٢ ق م، ولما أن شاهد أحد هؤلاء الجند أرشميدس (فى واحدة من غـيباته الرياضية) منهمكا فى الرسم على الأرض، توجس منه فأرداه قتيلا!

كما شهـدت جامعة الإسكندرية ازدهارا فى البحـوث فى عوالم النبات والحيوان والطيـور، وقد كان لبطليموس الـثانى حديقة حيـوان زاخرة بمختلف الحيوانات المجلوبة من أفريقيا وآسيا. كذلك أجرى العالم ثيوفراستوس دراسات على خمسمائة من فصائل النبات، وله أبحاث أيضا عن إخصاب النخيل.

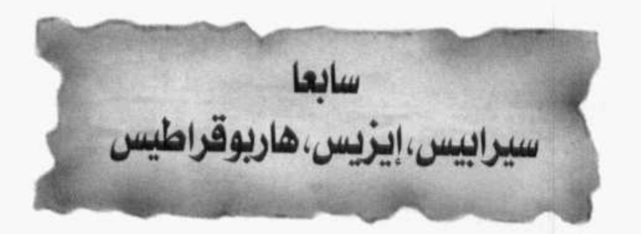
وإلى جـانب هذا كله ازدهرت الفلسـفـة الغنوصيـة Gnosticism التى نادت بأن المعرفة Gnos هى أحلى الفضائل، وهم كالزرادشـتيين يؤمنون بثنائية الوجود، كما أنهم يقسمون النفس البـشرية إلى ثلاثة صنوف: النفس الروحانية؛ والنفس النفسانية والنفس الشرانية. ومن أقطاب الغنوصية باسيليدس، وفالنتيوس، ومارقيون.

كـذلك انتـعـشت فى جنبـات الإسـكندرية النزعـة النسكيـة الصـوفـيـة علـى يد كلمنت وأوريجانوس، وهما لا يجدان تعارضـا بين الفلسفة والدين، وعذاب المرء عندهم عذاب روحى لا جسدى، فوخز الضمير أنكى من النار التى لا تنطفئ.

ومن أعلام الإسكندرية أيضـا أفلوطين المصرى الذى نادى بوحدة الوجود، وبفـضل الفيض الإلهى على المخلوقات، وكان زاهدا متصوفا يجاهد كى يصل بروحه إلى حالة من الفناء المطلق فى الذات الإلهية Extasis، ولا يتأتى هذا ـ فى رأيه ـ إلا بالارتفاع والتجاوز فوق كل ارتفاع مادى أو جسدى بـحيث تنعتق الروح من عقـالها. وقد قيل إن أفلوطين ـ وهو مـن صعيد مصـر ـ قد تأثر بأناشيد إخـناتون لقرص الشمس آتون، وهو الذى يقرن اسـمه بالأفلاطونية الجـديدة، ومن أشهر أعماله «التساعية» Enneads التى يعبر فى فصولها التسعة عن خجله من جسده وعن تحرقه روحيا للخلاص من هذا «السجن المادى».

ويرتبط بهذه الـنزعة الأفلاطونيـة الجديدة فى الإسكندرية جمـاعة تعـرف بالهرامسـة (أتباع هرمس Hermes)، وهرمس فى الأصل ابن لزيوس من زوجته مايا Maia، وهو مخترع الـقيثارة التى خلبت لب أبوللو نفسـه. ولقد شبهـه إغريق الإسكندرية بالإله المصرى توت، وأطلقـوا عليه اسم «مثلث الأمجاد» Trismegistus. وتكمن الفضيلة عند الهرامسة فى خلاص النفس من أغلال الجسد، كمـا أنهم يدربون مريديهم على صعود درج روحانى من تسعة مـدارج حتى يولدوا ميلادا جديدا خاليا من أدران العالم المادى وشروره.





سعى الملوك البطالمة، كما فعل سيدهم الإسكندر الأكبر، إلى التقريب بين الإغريق والمصريين، واهتدى تفكير أولهم بمشورة الكهنة المصريين والإغريق إلى صيغة تجمع بين آلهة اليونان والآلهة المصرية العريقة فى ثالوث من سيرابيس، وإيزيس، وهاربوقراطيس: وسيرابيس هو دمج بين أوزوريس الإله المصرى الطيب رمز النيل وناشر السلام والمنتصر على الموت وحامى الراقدين فى رحلتهم إلى العالم الآخر، وأبيس الإله الذى رمز له بشكل الثور. وقد وجد الإغريق فى سيرته شبها بمعبودهم ديونيسيوس الذى أعاده زيوس إلى الحياة بعد مقتله. وصنع البطالمة للمعبود الجديد القديم تمثالا يجمع بين الملامح الإغريقية وملامح أوسور حابى وأوزوريس الحبيب إلى قلب كل المصريين، وأقاموا له معبدا فى الإسكندرية (السيرابيوم)، وصار مزارا للإغريق والمصريين على حد سواء، وخاصة لما أشيع عن معجزاته فى شفاء المرضى.



إيزيس ربة الحظ، تمثال من الرخام



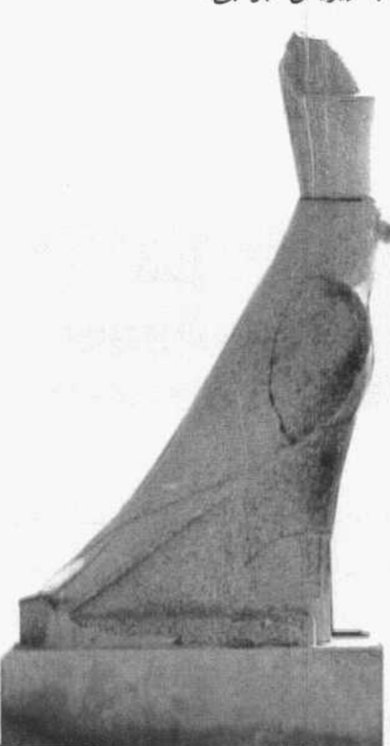
سيرابيس





معبد إيزيس (بومبى)

إما إيزيس فهى زوج أوزوريس الوفية الصابرة على الشدائد، والتى بكت زوجها فأبكت القرى والمدن فى الدلتا والصعيد، ودمعة إيزيس هى فيضان النيل الكريم حابى. وهى التى لملمت أشلاء أوزوريس التى مزقها أخوه الشرير ست وبعثرها شمالا وجنوبا، وهى التى لمست العظام فدبت فيها الحياة وهى رميم، ثم هى التى أنجبت الطفل حورس بعد عودة الروح إلى جسد أوزيريس



حورس (هاربوقراطيس)
على بوابة معبد إدفو



إيزيس ترضع ابنها
معبد إيزيس فى فيلة

وقيامته من الموت. وكان الإغريق يرون فى إيزيس ربة الجمال أفروديتى، وكان يحلو للملكات البطلميات التشبه بإيزيس فى كل شىء، كما أن الفنانين قد صوروهن على هيئة الربة المصرية الجميلة.

أما هاربوقراطيس فهو ابن إيزيس من زوجها أوزوريس، وهو يمثل فى هيئة شاب له رأس صقر ويلبس تاج الوجهين القبلى والبحرى. وهو عند الإغريق صنو لأبوللو وهرقل.

هذا، ونعلم أن الإغريق وجدوا فى الأرباب والربات المصريات القديمة شبها بأربابهم ورباتهم فربطوا بينها، ولم يكن الأمر وقفا على العامة أو الفئات الشعبية، بل إن صفوة المشقفين الإغريق فى الإسكندرية والتى عرفت باسم «إفيبس» Ephebes كانوا يقدمون القرابين ويؤدون الطقوس التى تتصل بالعديد من الآلهة المصرية، ومنها الإله التمساح فى مدينة الفيوم.

وينبغى الإشارة أيضا فى هذا المقام إلى أن الملوك البطالمة كانوا يتخذون عند تتويجهم ألقابا فرعونية خالصة من قبيل: المختار من رع؛ المحبوب من آمون؛ وريث آلهة الحق؛ محقق العدالة؛ سيد الوجهين... إلخ.

كذلك كان البطالمة يتزوجون من أخواتهم كما كانت الحال مع الفراعين!



أخذت قوة روما والرومان فى النمو فى أعقاب انهيار بناء الإسكندر الأكبر المقدونى، حتى غدت روما بمثابة سيدة حوض البحر الأبيض. ولقد نهل الرومان الكثير من حضارة الإغريق، وإن كانوا دوما يضمرون للأغارقة شعورا من الاحتقار والتعالى والريبة. ولقد عبر الشاعر الرومانى ڤرجيل (من عصر أغسطس) عن هذه المشاعر بقولة مشهورة: «إنى أتوجس من الأغارقة (أبناء داناوس) حتى وإن وفدوا علينا يقدمون لنا الهدايا «Timo Danaos et dona ferentes».

فى سنة ٤٩ ق م اشتعلت الحرب الأهلية بين اثنين من قادة روما وهما بومبى وقيصر، وانتهى الصراع بهزيمة بومبى فى معركة فرسالوس فى بلاد اليونان، وبفراره إلى مصر حيث قتل.

وفى العام التالى وصل قيصر بأسطوله يحوم حول مدينة الإسكندرية، التى كانت تشهد نزاعا عنيفا بين الملكة البطلمية كليوبترة السابعة ضد أخيها، فاشتبك مع قوات الأخير، ثم أشعل النار فى سفن الأسطول البطلمى الراسى فى الميناءين الكبير والصغير. ويقدر عدد السفن التى التهمها حريق قيصر بما يزيد على المائة سفينة. ولقد استعرت ألسنة اللهب حتى طالت مكتبة الإسكندرية، فأتت النار على ٤٠٠,٠٠٠ من نفائس الكتب وتراث العالم القديم! ثم أوقع قيصر الهزيمة ببطليموس الثالث عشر الذى هرب ثم غرق فى النيل.

ويجمع الدارسون على أن كليوبترة السابعة كانت شابة بالغة الفتنة والدلال، وكانت تفخر بأنها «إيزيس الجديدة»، كما أنها كانت أميرة طموحة تدغدغها آمال عراض فى أن تعيد مجد ذى القرنين وأن تصبح سيدة البحر الأبيض كله شرقه وغربه جميعا. والحق أن القيصر العجوز قد وقع أسيرًا لسحر هذه الأميرة الإغريقية المتمصرة، بشبابها وثقافتها العريضة وروحها الفكهة وطموحها الذى لا يعرف الحدود. وكانت إيزيس الجديدة هذه تحيط نفسها بالكهنة والسحرة والعرافين المصريين، وتشير إليها المصادر الرومانية على أنها الأميرة «المصرية».

ووقع القيصر فى غرام عروس الإسكندرية الجميلة، ثم تزوجها فأنجبت له طفلا أسمته قيصر الصغير ابن آمون رع. وعاد قيصر إلى روما يتدبر الأمر ويمهد الطريق لقدوم سيدة قلبه ووليدها، وتصل كليوبترة إلى مدينة روما سنة ٤٦ ق م، حيث تستقبل كما يليق بالربات من سموات الأساطير الإغريقية القديمة. ولقد صنع قيصر لهذه المناسبة الفريدة تمثالا لكليوبترة من الذهب الخالص نصبه فى معبد ڤينوس فى مدينة روما.

غير أن نفرا من الغيورين على التقاليد الجمهورية فى مجلس السناتو، وقد هالهم التحول المريب فى مسلك قيصر، أيقنوا أنه مقدم على تتويج نفسه ملكا أبدا مؤلها على الطرز البطلمية. ولذا فإنه فى اليوم الخامس عشر من شهر مارس لسنة ٤٤ ق م، تم اغتيال قيصر فى قلب مجلس السناتو بالخناجر حتى سقط مضرجا بالدماء عند تمثال غريمه القديم بومبى، ثم تعود كليوبترة كاسفة إلى الإسكندرية.

وانقسم الرومان إلى معسكرين: فريق يضم أنصار قيصر وهم أوكتاڤيان، ومارك أنطونى، ولبيدوس؛ وفريق قتلة قيصر وعلى رأسهم بروتوس وكاسيوس. وبعد اندحار معسكر بروتوس وكاسيوس فى معركة فيليبى سنة ٤٢ ق م، ألف المنتصرون حلفا ثلاثيا، على أن أوكتافيان وصهره



مـارك أنطونى سرعـان مـا انقلبا عـلى لبيـدوس وتخلصـا منه سنة ٣٦ ق م. وتقاسم الحليـفان الصديقان ميـراث قيصر العريض، واختـار أنطونى الولايات الشرقية ليـتسيد عليها، فأبحر وهو يحلم أجـمل الأحلام قبالة الإسكندرية كى يغتـرف من مواكب غـيدها وأعـياد كرنڤـالها وعشق أمـيرتهـا التى جاوزت حكاياتها خيـال الشعراء، ذلك رغم أنه كان مـتزوجا من أوكتاڤيـانا شقيـقة أوكتاڤيان حليفه القوى.

وشرب مـارك أنطونى من خمر البطالة ورحـيق كليوبترة حتى الثـمالة، وفاحت رائحة الغـرام ودفعت بها الريح إلى أنوف الخاصة والعـامة فى روما. وجن جنون الزوجة أوكتـافيانا، وزمجر شقـيقها أوكتاڤيـان مقسما بأن يقلم أظافر صديقه الناعم كـما يليق. وكان طبيعيا أن تشـتعل الحرب من جديد بين الصديقين القديمين، حتى كانت واقعة أكتيوم البحرية سنة ٣١ ق م.

ولما أن رأت كليوبتـرة أن اليد العليا فى مـعسكر أوكتـاڤيـان، انزلقت بزورقها هاربة إلى الإسكندرية. فما كان من مارك أنطونى إلا أن ترك رجاله ومـستقبله السياسى مع الأقدار، وهرول ذليلا يلحق بكليوبترة. ثم تتوالى الأحداث فيقدم أنطونى على الانتحار، ويقترب موكب أوكتافيان الذى لا يلين من شواطئ المدينة. ولما أن أيقنت كليوبتـرة أن معدن الجندى الرومانى الزاحف على عاصمتـها معدن لا يلين، قررت بدورها أن تنتـحر خوفا من مذلة الأسر والعـار، واختارت لهذه النهاية سم الأفعى (الكوبرا) خلاصا. ولقد صور أميـر الشعراء أحمد شوقى هذه اللحظة المأساوية خير تصوير فى الأبيات التالية:





هلمـى الآن منقـــذتى هـلمى ... وأهلا بالخلاص وقد سعى لى
شربت السم من فـيكِ المفدَّى ... بسلطانى وزودت عليـه مـالى
أأدخل فى ثيـــاب الذل رومـا ... وأعرَضُ كالسبىِّ على الرجال؟
أموتُ كما حَيِيتُ لعرش مصر ... وأبذل دونه عـرش الجــمـال
حـــيـــاةُ الذل تـدفع بالمنـايا ... تعـالى حيـــة الوادى تعـالى

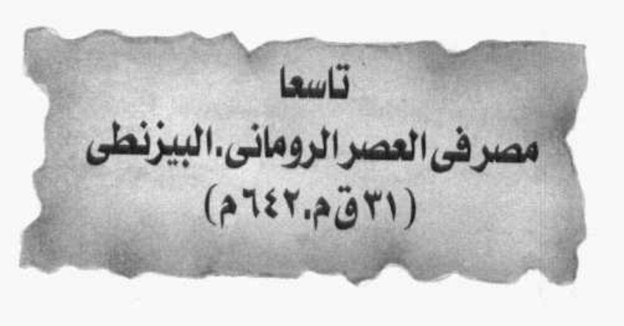
أما الكاهن المصرى الكبير أنوبيس فإنه يلخص اللحظة هاتفا:

أكـثـرى أيهـــا الذئاب عـواءً ... وادعى فى البـلاد عزا وقـهرا
أنشدى واهتفى وغنى وضجى ... واسبحى فى الدماء نابا وظفرا
لا وإيــزيــس ما تـمـلكت إلا ... واديا من ضـياغم الناب قـفرا
قسمـا ما فتحتمـو مصر لكن ... قـد فتـحتم بـهـا لرومـة قبـرا



تمثال الإمبراطور الرومانى يوليوس قيصر
المتحف الرومانى - الإسكندرية



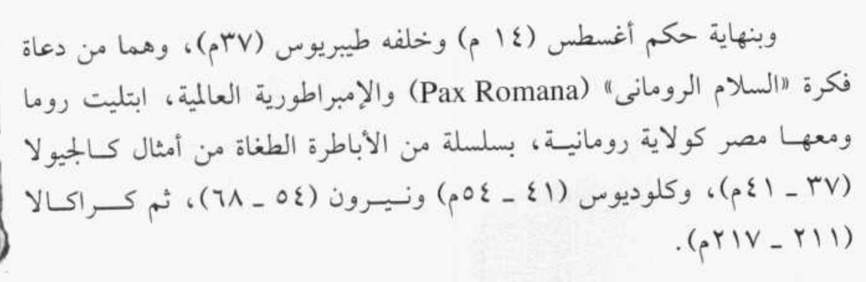


فى نقش لاتينى يونانى عـثر عليه على حـوائط أحد المعابـد بمدينة أنقرة بعنوان: «أعمال المؤله أغسطس» (Res Gestae Divi Augusti) نطالع عبارة ذات دلالة هامـة تقول: «لقـد أضفتُ مـصر إلـى ممتلكات الشعب الرومـانى» (Aegyptum Imperio Populi Romani Aedieci). وبالفـعل بعد مـصرع كليوبترة آخر ملوك البطالمة، صارت مصر ولاية رومانية وملكا خاصا للمواطن الأول (Princeps) أوكتافيانوس «أغسطس» أو المهيب كما لقبه مـجلس السناتو الرومانى. وقد قام أغسطس بتوطين أكثـر من مائة ألف من قدامى المحـاربين فى الولايات الإمبـراطورية فى الشمال الأفـريقى والشام وآسيا الصغرى، وقـد تحملت مصر تغطية نفقات هذا التـوطين. ولقد وضع أغسطس نظاما إداريا صارما لحكم مصر، فعين نائبا عنه بلقب Prefectus أى الوالى، وأبقى على حامية رومانية تؤمن الأحوال فى البلاد، كـما عين عددا من كبار الموظفين للشـئون المالية والسجلات العـامة والعدل، وعين كذلك كاهـنا أكبر لمدينة الإسكندرية، ثم أقام مـحكمة عليا فى الإسكندرية وفـروعا لها فى بعض المدن من بينها منف والفرما. وراح الغازى الرومانى الجديد يضيق الخناق على المعابد المصرية فجردها من بعض الامتيازات والإعفاءات القديمة.

وقسم أغسطس مـصر إلى ثلاثة أقسام إدارية هى: طيبة، ومـصر الوسطى، والدلتا، وعين لكل قسم حاكما بلقب Epistrategos ابستراتيجوس. كـذلك فرض أغسطس ضريبة الرأس على المصريين كافة.

وعلى نفس الخطى التى انتهجها البطالمة فى مصر، بقيت الوظائف العامة والهامة حكرا على الفئات الأجنبـية من أغارقة ورومان، وخاصـة من بين أبناء النوادى الثقافية الرياضـية التى عرفت باسم hoi apo gymnasiou، وهى امتداد للـصفوة البطلميـة التى صادفناها فى الإسكندرية باسم بولتيوماتا.

كما أدخل الرومان نظام إحصاء عـدد السكان فى مصر مرة كل ١٤ سنة، وكان على أرباب البيوت أن يقسـموا باليمين قبل الإدلاء بالبيانات لإدخـالها فى السجلات الرسميـة، وذلك بطبيعة الحال بقصد ضمان سداد ضريبة الرأس.



وبنهاية حكم أغسطس (١٤ م) وخلفه طيبريوس (٣٧م)، وهما من دعاة فكرة «السلام الرومانى» (Pax Romana) والإمبراطورية العالمية، ابتليت روما ومعهـا مصر كولاية رومانيـة، بسلسلة من الأباطرة الطغاة من أمثال كـالجيولا (٣٧ ـ ٤١م)، وكلوديوس (٤١ ـ ٥٤م) ونـيـرون (٥٤ ـ ٦٨)، ثم كـراكـالا (٢١١ ـ ٢١٧م).

ويروى الكاتب المعاصـر سيوتونيوس أن كـالجيولا كان يصاب بـاهتياج شديد عندما يكتـمل القمر بدرا، وبأنه كان يعتلى سطح قصـره لمغازلة القمر. كمـا أن هذا الإمبراطور المختل كـان يشكو لرجال بلاطه بأنه حزين لأن عـهده خالٍ من المصائب الكبار كالأوبئة والـزلازل المروعة والمذابح الجماعية، ويود لو أن حكمه امـتد ليشـهد هذه الكوارث جمـيعا، حـتى يذكر اسمـه فى التاريخ مقرونا بتلك الأحداث الجسام التى تليق بمقامه!

أما عن الروايات المتواترة عن إحراق نيرون لمدينة روما فهى كثيرة وثابتة، ويؤكد سيوتونيوس أن نيرون قد دبر إحراق المدينة لكى يشيد على رمادها قصرا ذهبيا، وأيضا لكى يستلهم فى خياله المريض من ألسنة اللهب المشتعلة أشجانا شعرية كتلك التى سجلها هومر فى الإلياذة عن بريام ملك طروادة وهو يشهد مدينته تكتوى بآتون النار على يـد آخيل وصـحـبـه من جبـابرة اليـونان. وقـد ألمح الفيلسوف سنيكا، وهو أستاذ نيرون والذى قتله نيرون فى نوبة غضب - فى روايته «ميديا» إلى هذا القـصد بطريقة مكناة فى قوله: «كم هو جميل أن أجر الدنيا معى عندما تنتهى أيامى».



مومياء من العصر الرومانى من هوارة - الفيوم - القرن الأول الميلادى

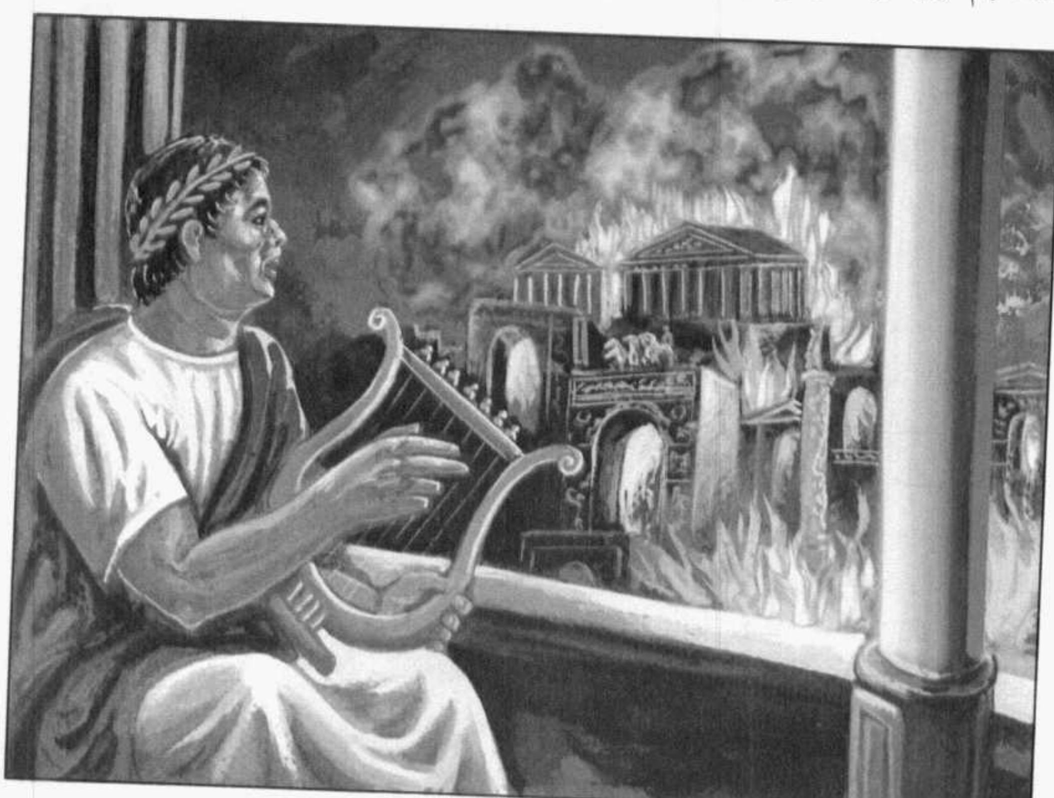
ويتفق الكتاب المعاصرون (سنيكا، تاكيتوس، موسونيوس، بلوتارخ، ابكتـيتـوس، پترونيـوس) على أن قصـر الإمبـراطور الرومانى فى تلك الحين من التاريخ قد صـار كالقفص الكبير، يخطو داخله طاغيـة روما جيئة وذهابا، وهو مـتورم بنوبات الغـضب والجنون؛ فـبعـد أن تأله الأباطرة وصـارت لهم تماثيل يحـرق عند أقـدامها بخور النفـاق والطاعة، لم يعـد أحد يجرؤ على انتقاد أفعالهم المخبولة. وهنا يصدق القول المأثور: السلطة مـفسدة، والسلطة المطـلقـة مفسـدة مـطلقة: (Power corrupts, absolute power corrupts absolutely).

ويروى عن كاليجولا أنه كثيرا ما كـان يقبض على أعـضاء من مـجلس الشيوخ ويأمـر بجلدهم، وقيل إنه فكر جديا فى أن ينعم على حـصانه بشرف العضوية فى مجلس الشيوخ الرومانى.

فى هذا الجو الخانق من التدهور والانحـلال الأخـلاقـى، لوحظ أن الانتحـار بالسم قد تفشى فى المجـتمع الرومـانى، ربما على طريقـة كليوبتـرة ومـارك أنطونى. وقيل أيضـا أن بعض النبـلاء الرومـان كـانوا فى وسـط المآدب الفـاخـرة التى يبسطونها لأضـيافهم، ينفجرون فـجأة بالبكاء والنحيب، وأن البـعض الآخـر كان يقف بين ضـيـوفـه ليلقى على مسامعهم مرثية موته المرتجى.



تمثال برونزى للإمبراطور (أغسطس)

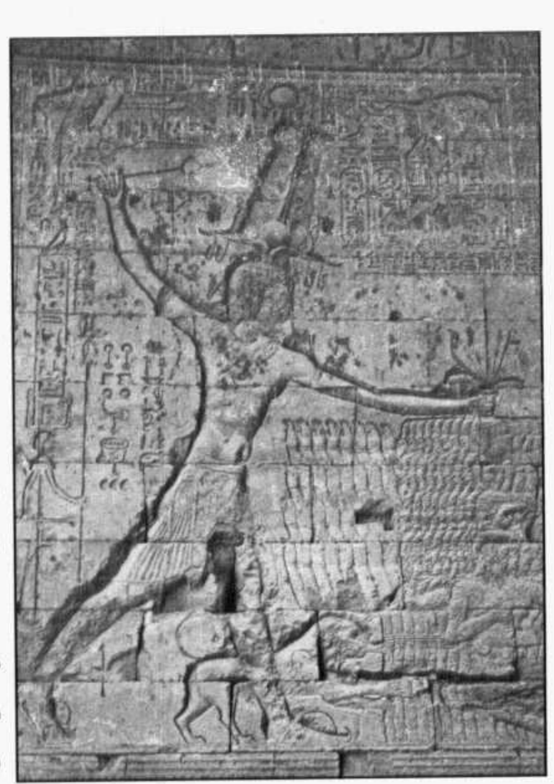


ومع نزوح الفلاحين من القرى إلى المدن، اكتظت روما بالعاطلين والمتنطعين الذى استمرؤوا الكسل، منذ أن درج الأباطرة على توزيع الخبز عليهم بالمجان (الرحمة القيصرية)، وذلك من البقرة المصرية الحلوب. كما سمح الأباطرة لهؤلاء الرعاع بدخول السيرك وساحات المجالدة أيضا بالمجان، ليشاهدوا كيف يفتك المجالدون أحدهم الآخر بضربات السيف، والقوم فى نشوة ما بعدها نشوة. وبمرور الوقت زادت الهوة اتساعا بين من يملكون ومن لا يملكون فى العاصمة روما، وفى الأقاليم والولايات جميعا. كذلك دأب الأباطرة على بسط مآدب عامة لفقراء روما، وقد وصفها المعاصرون سخرية «بولائم المهابيل» (Festa Sultorum).

ولقد سجل المؤرخ السكندرى فيلون الأحوال المتردية فى مصر فى القرن الأول للميلاد، حيث بات الجميع فى شكاية دائمة من عبء الضرائب ومن تعنت الجباة ومن أساليبهم فى إكراه أقارب من يتعثر فى دفع الضريبة على دفع تلك الضريبة. ويذكر كذلك أن الموظفين الرومان كانوا يستولون أحيانا على مومياوات الموتى ويبقونها رهنا بسداد الضرائب المطلوبة. ونقرأ أيضا عند نفس المصدر عن تعذيب للأطفال والزوجات، ولذا فإن سكان قرى بكاملها كانوا يفرون إلى المعابد أو إلى البرارى، معتزلين الحياة الدنيا وضرائبها (Anachoresis).

ويذكر أيضا أن السلطات الرومانية فرضت على الفئات الأكثر حظا فى مصر القيام ببعض الخدمات كتكليف حكومى (Liturgia)؛ إلى جانب بعض «الأعباء» (Munera) الأخرى من قبيل فلاحة أرض التاج الإمبراطورى (Epibole) بالسخرة!

ولقد اعتاد الأباطرة الرومان على زيارة مصر، خاصة بعد الفتنة التى أشعلها اليهود فى الإسكندرية فى عهد الإمبراطور تراجان (٩٨ ـ ١١٧م) والتى هزت مدينة الإسكندرية.

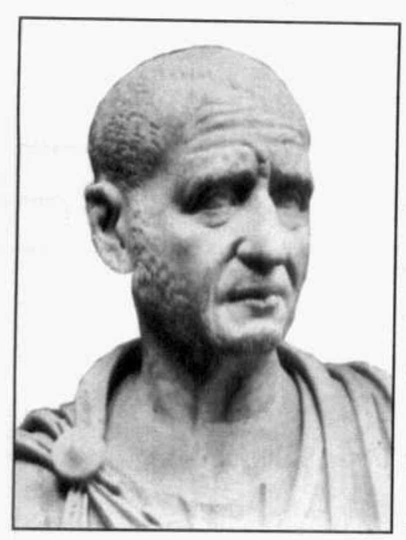


تراجان يضرب أعداءه – صرح معبد إسنا





كذلك زارها هادريان سنة ١٣٠م، وقيل أنه شارك فى بعض المناقشات الفلسفية مع أساتذة جامعة الإسكندرية. أما الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠م)، وكان معجبا بالفلسفة الرواقية، فقد قصد بدوره إلى الإسكندرية ودخل فى حوار مع مشاهير الفلاسفة وهم إثنايوس، وهاربوكراتيون، وهيفايستون، وبولوكس. ثم جاء إلى الإسكندرية الإمبراطور أنطونيوس كاراكالا (٢١١ - ٢١٧م) الذى كان قد أصدر دستورا عرف باسمه (Constitutio Antoniniona) خفف بمقتضاه الضريبة على الرومان فى مصر، إلى الخمس فيما يتصل بالإرث والأيلولة، ولكنه لم يفعل شيئا للتخفيف عن المصريين الذين ظلوا يدفعون ضريبة الرأس. وقد قوبل كاراكالا مقابلة فاترة من أهل الإسكندرية، بل إنهم تظاهروا ضده، فانتقم منهم شر انتقام، ويقال إنه فى نوبة جنونه أغرق المدينة فى حمام من الدم، ثم أمر بإغلاق الجامعة!



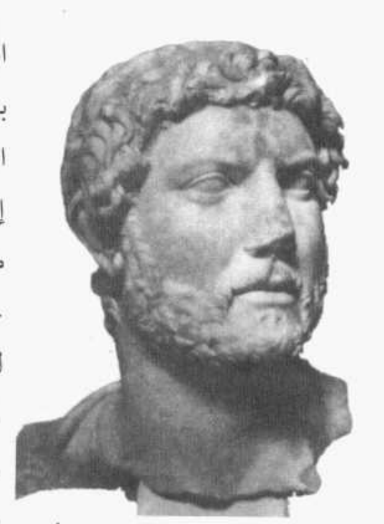
الإمبراطور تراجان

وفى عهد الإمبراطور جالينوس (٢٦٠ - ٢٦٨م)، قامت الملكة زنوبيا سيدة بالميرا بغزو مصر (٢٦٨م)، وكانت تزعم أنها سليلة كليوبترة السابعة، وفى سنة ٢٧٠م منيت بهزيمة على يد القائد الرومانى بروبوس ووقعت هى وابنها وهب اللات فى الأسر، ولكنها انتحرت (٢٧٠م).

وفى أخريات القرن الثالث للميلاد، مع تدهور الأحوال فى روما ومع تهديد الشعوب الجرمانية لحدود الراين والدانوب، فكر الأباطرة فى نقل العاصمة إلى الشرق بعيدا عن مناوشات الجرمان وأيضا لتأمين الحدود مع فارس. ولما أن وصل دقلديانوس إلى عرش الإمبراطورية جعل عاصمته فى بلده نيقوميديا فى آسيا الصغرى. وقد



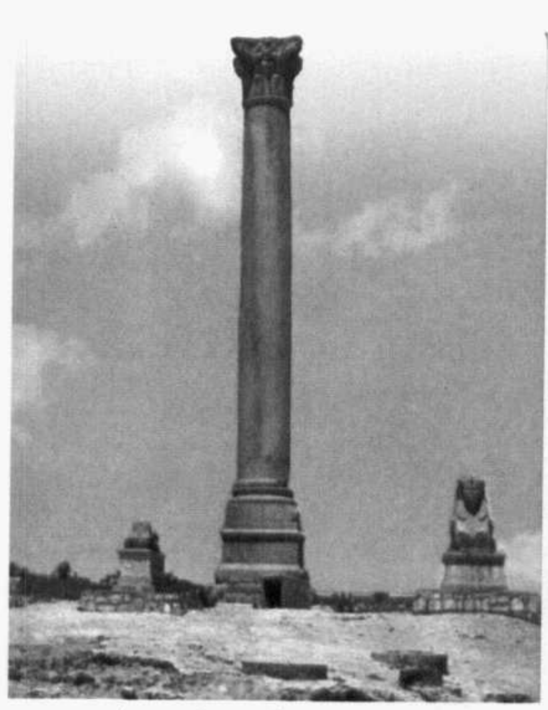
الإمبراطور الرومانى ماركوس أوريليوس
(١٦١ - ١٨٠م)



الإمبراطور هادريان

ابتـدع دقلديـانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م) نظامـا بيـروقـراطيا صـارمـا يعـرف باسم «الحكم الرباعى» (Tetrachy)، فقسم الإمبراطورية إلى اثنتى عـشرة ولاية تضم سـتا وتسـعين مقـاطعة، ولكل من هذه الأقسام وتوابعـها حـاكمـهـا وأجهـزتهـا وفيـالقـها. وصـار للإمـبـراطورية أغـسطسـان وقـيـصـران مسـاعـدان، اثنان للشرق وآخـران للغرب. وقد تطلب هذا النظام الرباعى الجديد أموالا طائلة لمواجهة الأعباء، وكـان طبيعيا أن يقع العبء على دافعى الضرائب، وفى طليعتهم سكان الولايات ومن بينها مصر.

على أن نظام دقلديانوس سرعان ما تصدع، وبات القـياصرة والأباطرة فى النصفين الشرقى والغربى للإمبراطورية يتصارعون، كل يسعى للانفراد بالحكم، ومع هذه الفوضى والحروب، ازداد عدد السـاسة العـاطلين الذين أخذوا يـلقون بتأييدهم تارة مع هـذا الفيلق وأخرى مع ذاك الفصـيل، وذلك فى مقـابل رشوة دسـمة أو وعد بولاية غنية بمواردها كمصر يمتص دماءها حتى النخاع. ولقد عـرف أباطرة تلك الفترة المضطربة باسم «أباطرة المعسكرات». وانـتهز الولاة وجـبـاة الضـرائب وحكام الوحـدات الإدارية فى مـصر هذه الفـرصة، فـفرضـوا الإتاوات على الأهالى حتى قصموا ظهورهم تماما. وكـان دقلديانوس قد أصـدر مرسـوما ثبت به سكان الإمـبراطورية كلا فى وضـعه الاجـتمـاعى (Status)، وبذلك صـار على الأبناء أن يرثوا من الآباء أوضاعهم وأحمالهم الضريبية.



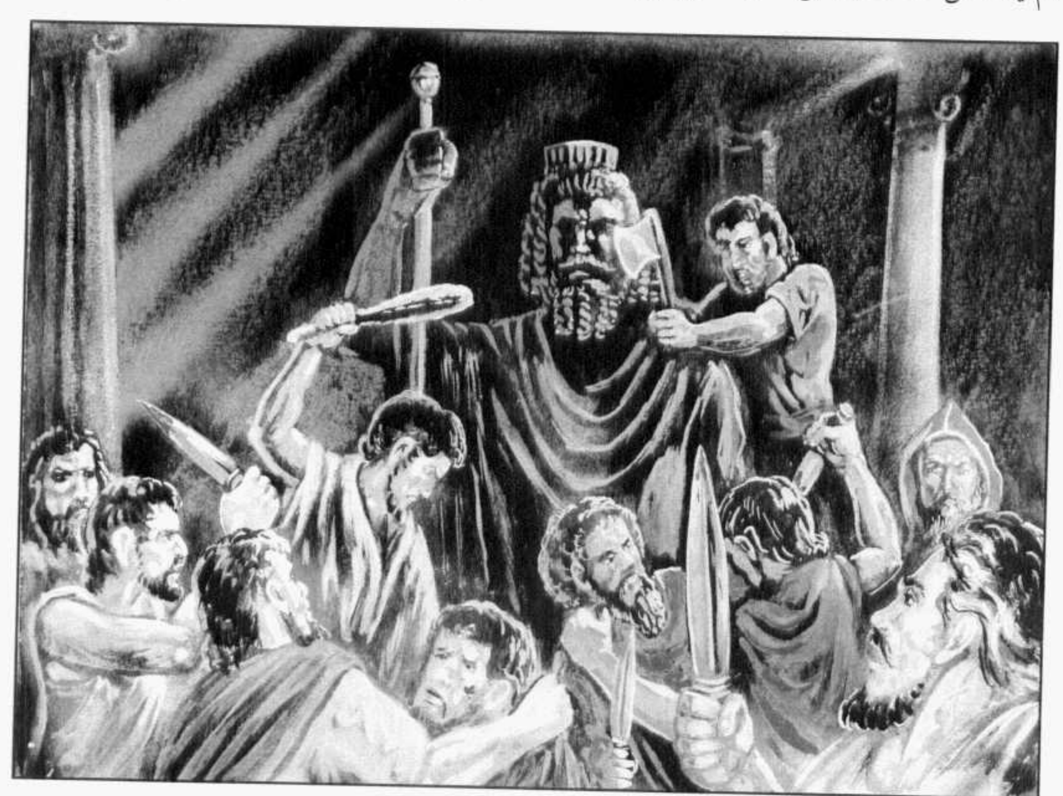
نصب دقلديانوس (عمود السوارى)
كوم الشقافة - الإسكندرية



وطبقـا لنظام دقلديانوس قسـمت مصـر إلى أقسام ثلاث مـع فصل بين السلطة المدنية والسـلطة العسكرية، وقسـمت هذه الإدارات إلى وحدات إدارية أقل ما بين مـدن وبنادر (Pagi)، ويشرف عـلى كل من هذه الأخيـرة موظف بلقب Praepositus، الذى يخـضع بدوره لموظف أعلى هو جـابى الضـرائب (Exactor).

وكان عـلى كل مصـرى أن يؤدى لجابى الضـرائب ضريبـة الرأس التى بلغت ٤٨ درخمة، كما كان على مـصر أن تصدر إلى روما ما مقداره ٣٠٠٠٠ إردبا من القمح كل يوم. ولقد حـاول الرومان جعل اللغة اللاتينية لغـة رسمية للبلاد، ولكنها لم تفلح فى اقتلاع اللغة اليونانية.

ويقترن عصر دقلديانوس بموجة الاضطهاد ضد المسيحيين فى مصر حتى عرف عصره باسم «عصر الشهـداء»، ولكن الرجل قرر فجأة أن يعتزل الحكم (٣٠٥م)، فاندلعت بين القيـاصرة حرب أهلية، تمخـضت عن فوز معسكر قـسطنطين وليكنيوس صهـره. وقد أصدر الزعيمان المنتصران من مدينة ميـلان مرسوما عرف باسم هذه المدينة يوقف موجة الاضطهاد تلك. ثم يتخلص قسطنطين من حليفه، وينقل عاصمة ملكه إلى ضفاف البسفور على موقع مدينة يونانية



قديمة اسمها بيزنطة (سنة ٣٣٠م)، مبتدءا بذلك ما يعرف بالتاريخ البيزنطى أو العصر الرومانى المتأخر.

فى خلال ذلك كانت الإسكندرية تشهد صراعا داميا بين أتباع المسيحية وبين بقايا الوثنية من أتباع سيرابيس، إلى أن يصل الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير إلى العرش البيزنطى (٣٧٨ - ٣٩٥م)، ويصدر مرسوما بتحطيم كل بقايا الوثنية فى روما وأثينا والإسكندرية، وصدرت الأوامر إلى حكام الشرق والغرب بإغلاق المعابد الوثنية ومصادرة أملاكها. وكان مسلك رجال الدين المسيحيين فى الشام والإسكندرية مدعاة للسخرية، إذ لم يتورعوا عن أعمال السلب والنهب والقتل، حتى إن الفيلسوف الوثنى الكبير ليبانوس شبههم «بالفيلة الثملة فى عباءات سوداء.. بل إن الفيلة تعاف أن تشبه بهم».

ودارت الدائرة على سيرابيس الإسكندرية، فبعد هدم معبد باخوس (باكوس)، وقع صدام عنيف بين أتباع سيرابيس بزعامة الفيلسوف أولمبيوس وبين مسيحيى الإسكندرية بزعامة ثاوفيلوس. واشتبك الطرفان حول ساحة المعبد وقتل عدد كبير من الطرفين، ولكن معاول الهدم فعلت فعلها فى المعبد حتى حولته إلى كومة رماد. وكان تمثال سيرابيس يقف شامخا، يحمل الصولجان بيده اليسرى، والمكيال على رأسه، ويده اليمنى تمسك بالتنين الذى له جسد أسد ورأس ثعبان وذيول ثلاثة تنتهى بثلاثة رءوس. ثم انسل واحد من المتظاهرين وصعد الدرج وانقض بفأسه على وجنة سيرابيس فسقطت على الأرض، وتتابعت الضربات فمزقت التمثال إربا، فتخاطفته غوغاء الإسكندرية، وعرضت الأشلاء فى مواكب السخرية والاستهزاء فى شوارع المدينة ومسارحها وملاعبها. وهكذا كانت نهاية سيرابيس.

وإذا وصلنا إلى عصر الإمبراطور جستنيان الكبير (٥٢٧ - ٥٦٥م)، نجده يعيد ضم السلطة المدنية إلى السلطة العسكرية فى يد والى الإسكندرية البيزنطى. وقد أعيد تقسيم مصر إلى ولايات أربع هى: مصر وتشمل الإسكندرية ومناطق غرب الدلتا ويشرف عليها مسئول بلقب الدوق؛ أوجستامنكا وتشمل مناطق شرق الدلتا حتى مدينة بلبيس تحت إشراف دوق آخر؛ أركاديا وتشمل مصر الوسطى حتى مدينة المنيا ويشرف عليها مسئول بلقب كونت، ثم طيبة ويشرف عليها مسئول بلقب دوق أغسطالى. وتفصح أوراق البردى المعاصرة عن أن الأسر (الرومية)





عملة بيزنطية للإمبراطور جستنيان الثانى (٦٨٥ - ٦٩٥م)

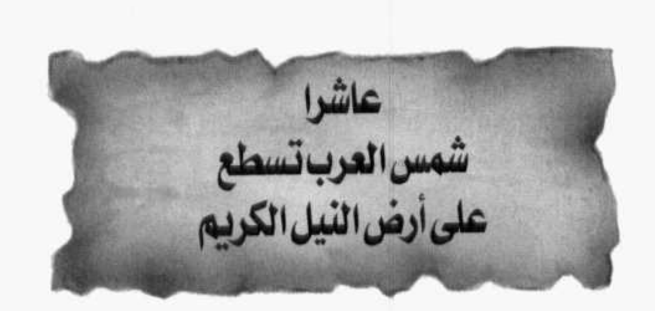




الإمبراطور جستنيان الكبير (٥٢٧ ـ ٥٦٥م) فى محفل دينى

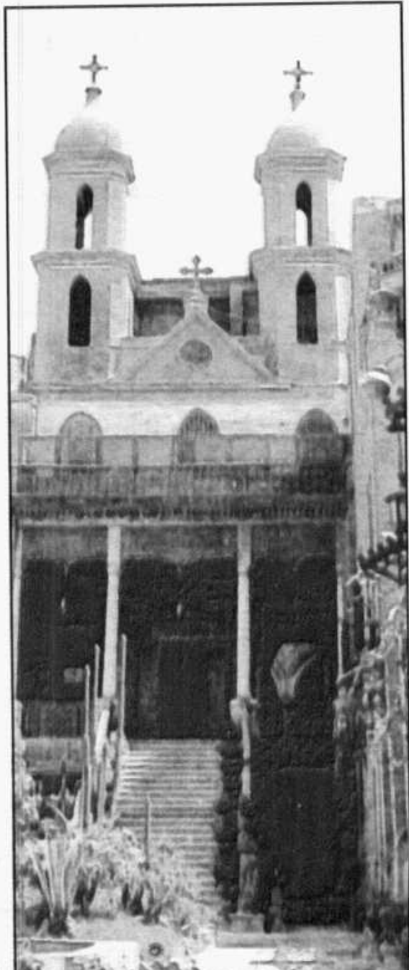
الإقطاعية من كبار ملاك الأراضى قد استفحل أمرها فى القرن السادس: فقد كان أحد أبناء أسرة فلافيوس أبيون يملك ضياعا فى طول البلاد وعرضها، بل إن قرى بأكملها بما فيها ومن فيها كانت تحت إمرته وحيازته. وكانت لهذا الإقطاعى حاشيته وبلاطه وجباة ضرائبه وموظفو خزانته، ورجال شرطته ونظامه البريدى الخاص به. وكانت له فوق هذا كله سجونه الخاصة يزج فيها بمن يشاء من خلق الله، تحت حراسة جنده المرتزقة من غلاظ القلب. ولم يكن أبيون وحده فى صعيد مصر ودلتاها. ولا عجب أن واحدا من قوانين جستنيان «المتجددات» (Novellae) يتحدث عن الأحوال المتردية فى ولايات الإمبراطورية بفعل كبار الملاك الذين جاروا على كل شىء وطالت أيديهم أرض «التاج» الإمبراطورى نفسه، مستخدمين لتحقيق أغراضهم المرتزقة والرعاع وقطاع الطرق. كما أن هؤلاء الكبار قد نجحوا فى إسكات أفواه موظفى الحكومة بعد حشوها بالذهب!





عاشرا
شمس العرب تسطع على أرض النيل الكريم

فى عهد الإمبراطور البيزنطى هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) نشب صراع بين بيزنطة وفارس، ونجح الفرس فى الاستيلاء على مدن أنطاكية ودمشق (سنة ٦١١م)، ثم زحفوا على فلسطين واقتحموا بيت المقدس سنة ٦١٤م، حيث ساعدهم اليهود فى ارتكاب مذبحة رهيبة وصل ضحاياها إلى ستة آلاف من الأنفس. ونهب الفرس نفائس المدينة وآثارها المقدسة، وشحنوها إلى عاصمتهم «كتزيفون» مع العديد من الأسرى، وعلى رأسهم بطريق القدس زكريا.


الكنيسة المعلقة المشيدة
على حصن بابليون

وفى سنة ٦١٨م سقطت مدينة الإسكندرية فى أيدى الفرس، وبذلك حرمت روما والقسطنطينية من غلال القمح الوافدة من مصر.

وبعد أن أعد هرقل عدته، وعقد صلحا مع خان الآفار زحف على بلاد فارس، حيث دارت بينه وبين خسرو معركة حاسمة على خرائب مدينة نينوى (قرب الموصل على نهر دجلة) سنة ٦٢٧م، وكان النصر فيها لهرقل. وهكذا عادت مصر من جديد إلى حظيرة البيزنطيين.

على أن كنيسة الإسكندرية المصرية كانت قد انفصلت عن التبعية لكنيسة القسطنطينية منذ سنة ٤٥١م، يوم أن أدينت كنيسة مصر بالهرطقة فى مجمع خلقيدونية.



وقد سعى هرقل بعد استرجاع مصر من أيدى الفرس إلى إجبار الكنيسة المصرية على قبول مذهب لاهوتى صاغه رجاله، ولكن المصريين رفضوا هذا المذهب، وأشاروا إليه فى سخرية بأنه «مذهب الملك» - الملكانى - (Melkite)؛ ولذا فإن هرقل وأبناءه من بعده راحوا فى اضطهاد رجال الكنيسة المصرية والتنكيل بهم بمختلف الأساليب والطرق؛ من سجن ومصادرة أملاك وإغراق فى البحر بل وإحراق لبعض الخصوم، حتى إن رأس الكنيسة المصرية البطريرك بنيامين اضطر إلى الفرار إلى جوف الصحراء هروبا من بطش السلطات البيزنطية ورجال كنيستها فى الإسكندرية.

وفى أثناء ذلك كانت الأمة الإسلامية الفتية قد أخذت تصفى الحساب مع أكاسرة الفرس شرقا وقياصرة الروم غربا؛ وزحف الجند العرب تحت راية الإسلام لتحرير شعوب الأمصار من مخالب الفرس والروم. وفى عهد الخليفة الراشد الثانى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتح العرب مدينة القدس دون إراقة نقطة دم برىء، حتى إن بطريرك المدينة صفرونيوس، لما كان يعلمه عن سماحة وعدل أمير المؤمنين، طلب أن يسلم مدينة القدس للخليفة الراشد نفسه.

وقد ضرب «الفاروق» عمر المثل الحسن الأحسن فى السماحة والمروءة، عندما أصدر لأهل القدس (إيلياء) «كتاب الأمان» (١٥هـ/ ٦٣٦م).

وبطبيعة الحال فإن أخبار «العهد العمرى» لأهل بيت المقدس، وما حواه هذا العهد من أمن وأمان وسماحة لم يعهدها أهل القدس تحت حكم الروم، قد تناهت أخبارها إلى مسامع أهل مصر وبطريركها الهارب فى الصحراء من بطش الروم. وتطلع أهل مصر من شعب وراع إلى أحفاد أختهم هاجر لإنقاذهم من براثن الروم ومذهبهم الملكانى، ناهيك عن امتصاص جباة الضرائب الروم لدماء المصريين حتى النخاع.

وكان من نصيب القائد عمرو بن العاص أن يتولى مهمة فتح مصر وتحريرها، واشتبك هذا القائد العربى المحنك بجيوش الروم فى مصر فى عدة معارك عند الفرما. وفى هذه اللحظة التاريخية خرج البطريرك بنيامين من مخبئه فى الصحراء وراح يحث أهل مصر على مناصرة العرب للخلاص من ظلم الروم. وتتوالى الأحداث فى معارك بلبيس، وأم دنين (الأزبكية حاليا)، والفيوم. ثم تصل تعزيزات عسكرية من الجزيرة العربية بقيادة الزبير بن العوام، وبعدها يعسكر عمرو بن العاص فى عين شمس فى منتصف يوليو لسنة ٦٤٠م. ويهرب الروم من معركة عين شمس إلى حصن بابليون (فى مصر القديمة)، ويحاصر العرب هذا الحصن العتيد لمدة ستة شهور،

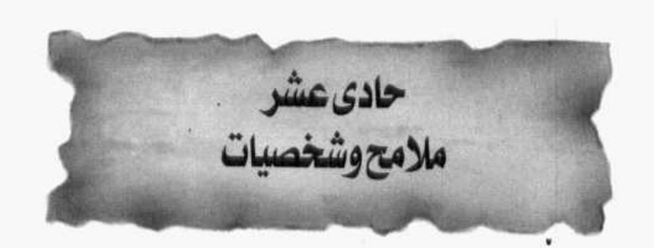
حتى تستسلم الحامية البيزنطية لعمرو فى التاسع من إبريل لسنة ٦٤١م. ويضطر المقوقس (Cyrus) حاكم الإسكندرية البيزنطى إلى تسليم مدينة الإسكندرية لعمرو بن العاص فى نوفمبر ٦٤١م، ثم يبحر هو ورجاله عن المدينة فى ١٧ سبتمبر ٦٤٢م.

كان سكان الإسكندرية وقت الفتح العربى قرابة ٦٠٠,٠٠٠ نسمة، بدون إحصاء النساء والأطفال، وكان عدد الأجانب من هذا العدد حوالى ٢٠٠,٠٠٠ نسمة؛ موزعين بين الروم (اليونان) والرومان، أما يهود الإسكندرية فقد بلغ عددهم ٧٠,٠٠٠ نسمة، والباقى من أبناء مصر الذين ظلوا مغلوبين على أمرهم منذ حكم البطالمة سنة ٣٣٢ق م.

لقد حرر عمرو بن العاص أهل مصر من كابوس طويل، وسطعت على أرض النيل الكريم شمس فجر جديد. وكان من أوليات أعمال عمرو بن العاص، أن أعاد البطريرك بنيامين الطريد إلى كرسيه معززا مكرما، وكان فى هذا ينفذ قوله تعالى فى الآية الكريمة:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المائدة].



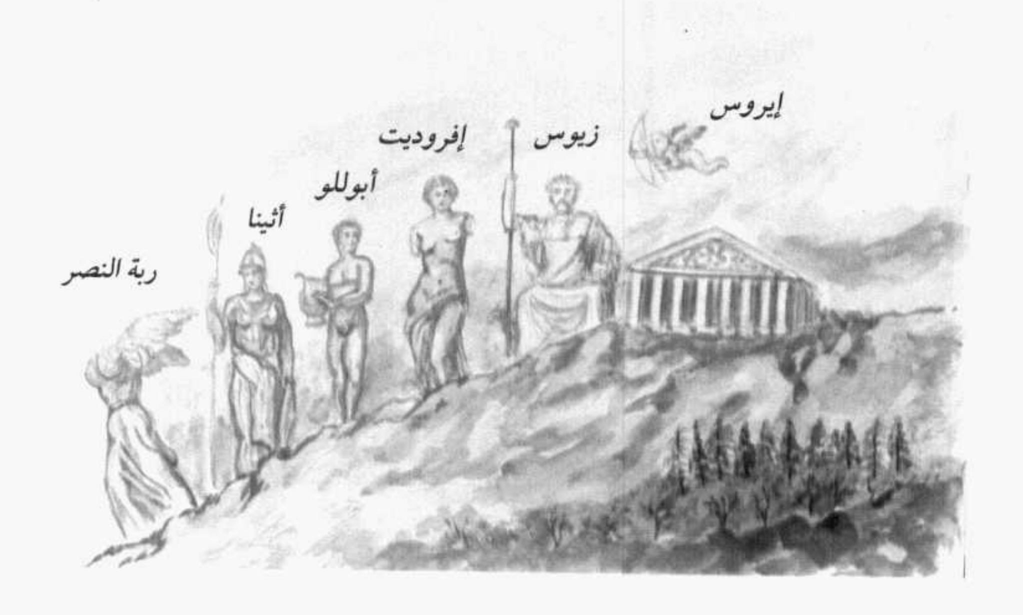




١ - هيلين وحرب طروادة:

تقول الروايات أن هيلين هذه كانت ابنة لكبير الآلهة زيوس من صلة غير مشروعة مع ليده زوجة تنداريوس ملك أسبرطة. وقيل إن هيلين كانت أجمل بنات زمانها على الإطلاق، حتى إن البطل ثيزيوس ابن ملك آثينا قام باختطافها وهى بعد صبية، ولكن إخوتها استردوها منه بعد معركة عنيفة.

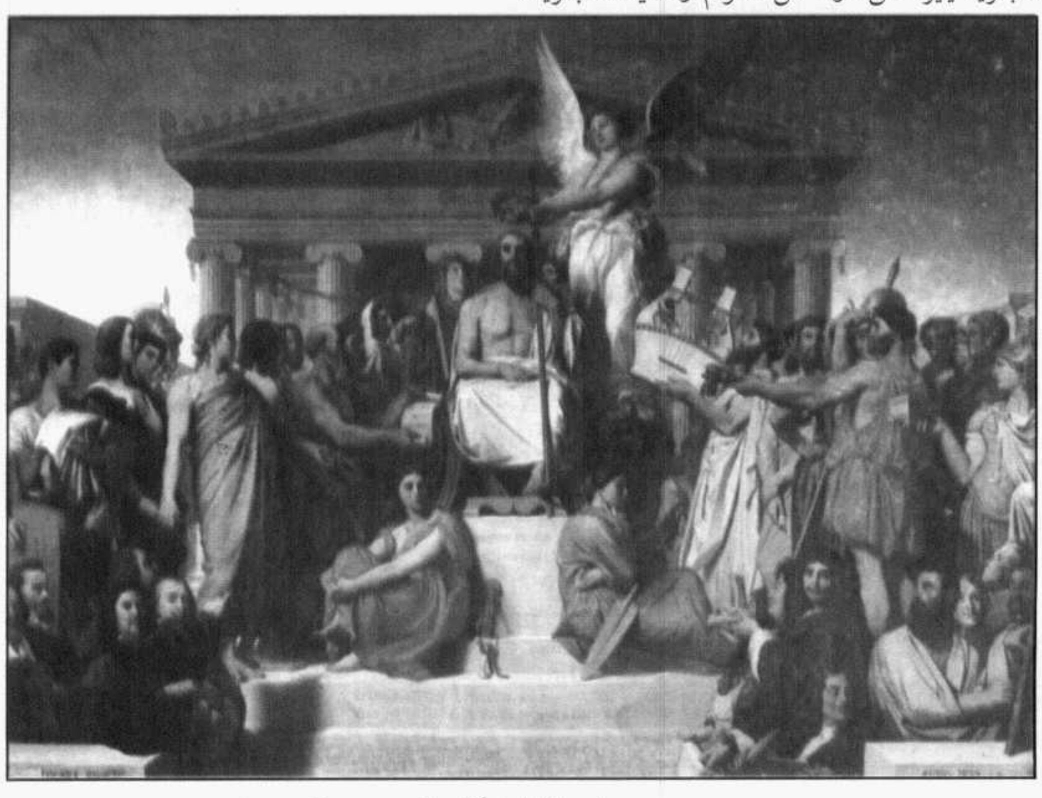
ولما أن شبت هيلين عن الطوق، شاع ذكر جمالها فى مختلف القرى والمدائن، فتسابق لخطبتها وجهاء الأمراء والأبطال، ولكنها اختارت منيلاوس ملك أسبرطة زوجا لها. وحدث أن حل الأمير پارس ابن ملك طروادة ضيفا على منيلاوس، وما إن رأى هيلين حتى جن جنونه شغفا وهياما بها. وكانت أفروديت ربة الجمال قد حدثته قبلا بأنها سوف تجر خطاه إلى أحلى نساء العالم. فما كان من پارس إلا أن مكر بمضيفه الملك وخطف هيلين وأبحر مسرعا إلى وطنه طروادة.



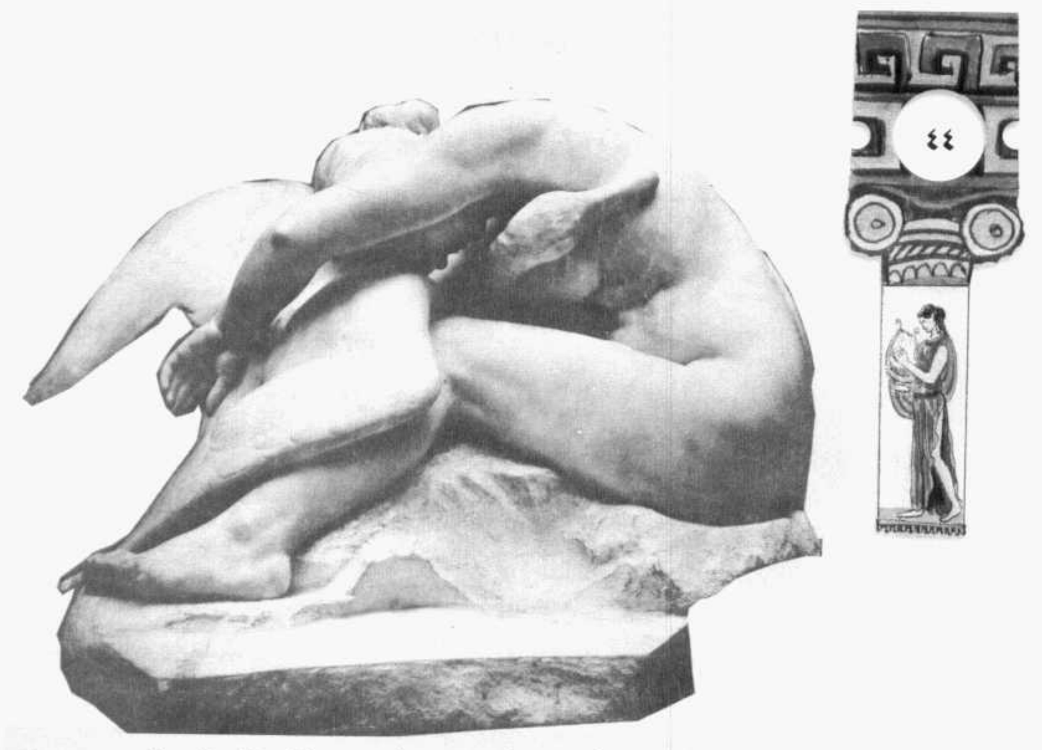
وكانت هذه الفعلة الشائنة هى الشرارة التى حركت الحرب بين بلاد اليونان مجتمعة تحت راية أجاممنون (شقيق منيلاوس، فى حين أن زوجته كلتمنسترا كانت شقيقة هيلين) ضد طروادة. وبعد حرب مريرة مليئة بالمآسى فى المعسكرين تم تدمير طروادة وإعادة هيلين ثم مصالحتها على زوجها منيلاوس. وقيل إن هيلين قد قامت بزيارة لمصر.

٢ - هوميروس (هومر):

هومر هو أعظم الشعراء اليونانيين الملحميين، بل أعظم شعراء العالم القديم على الإطلاق. ولا يعرف على وجه التحديد موضع مولده ولا تاريخه. ولقد شكك البعض فى تاريخية شخصية هومر، واستبعدوا أن تكون ملحمتا «الإلياذة» و«الأوديسا» من وضع شخص فرد، وهكذا شأن النقاد فى كل إنجاز حضارى فذ ولكأنهم يستكثرون على الفرد مسًا من العبقرية يميزه عن دونه من العوام وأدعياء العبقرية!



تتويج هوميروس ـ لوحة للفنان آنجر الفرنسى سنة ١٨٦٧م



تقول الأسطورة أن زيوس تنكر فى شكل طائر البجعة
وضاجع ليدا وأنجب منها هيلين

لقد نظم هذا العبقـرى «الضرير» ببصيرة قلبه ملحمـتى الإلياذة والأوديسة، أغلب الظن فى القرن التاسع قبل الميـلاد، كما يقول المؤرخان هيرودوت وثيكوديديز. ويرجح أنه من مـواليد آسيا الصغـرى، ربما من بلدة خيـوس أو سميـرنا (أزمير الحـالية). وقد بلـغ افتتـان الأغارقة بأشـعار هوميروس أن الملحمتين كانتا تنشدان كاملتين فى أعياد «باناثينايا» (Panathenaea) التى كانت تقام على شرف الربة آثينا فى يوليـو من كل عام. وكان هذا المهرجان يـشهد مباريات فى سـباق الخيل والرقص والموسيقى، وفيه يتنافس الشعراء من شـيب وشباب، ومن حولهم صبايا الإغريق يحملن أغصان الزيتون.

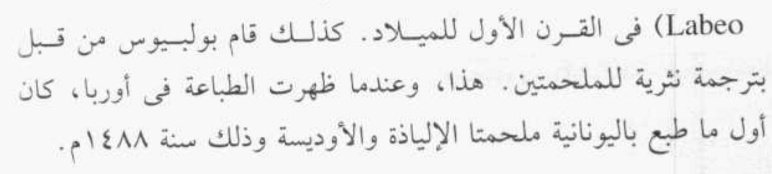
ولقد عكف علماء الإسكندرية فى المكتبة السكندرية التى شيدها بطليموس الأول على تحقيق لفائف الملحمتين تحت إشراف العالم زينودوتوس. والنص الموجود الآن يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد على عهد أفلاطون، وهو محفوظ فى مدينة البندقية.





إناء من الفخار يقدم كجائزة للعبة الملاكمة

وقد امتدح أرسطو شعر هومر وأفاض فى الحديث عن أسلوبيته المتفردة، وصوره المبهرة، ووحدة حبكته الدرامية، وبنية قوافيه، ووضوح عبارته، حتى إنك وأنت تطالع أحداث أبطاله يخيل إليك أنك تشاهدهم يتدفقون حيوية على خشبة المسرح. ولقد انبهر الرومان بعد اليونان بهذا العبقرى الفذ، فترجموا له إلى اللاتينية بعض النصوص كما فعل كل من لوكريتيوس وڤرجيل، وهذا الأخير قد نظم ملحمته «الإنياد» على الدرب الهومرى نفسه. أما النص اللاتينى الكامل للملحمتين فكان من فعل آتيوس لابيو (Attius Labeo) فى القرن الأول للميلاد. كذلك قام بولبيوس من قبل بترجمة نثرية للملحمتين. هذا، وعندما ظهرت الطباعة فى أوربا، كان أول ما طبع باليونانية ملحمتا الإلياذة والأوديسة وذلك سنة ١٤٨٨م.

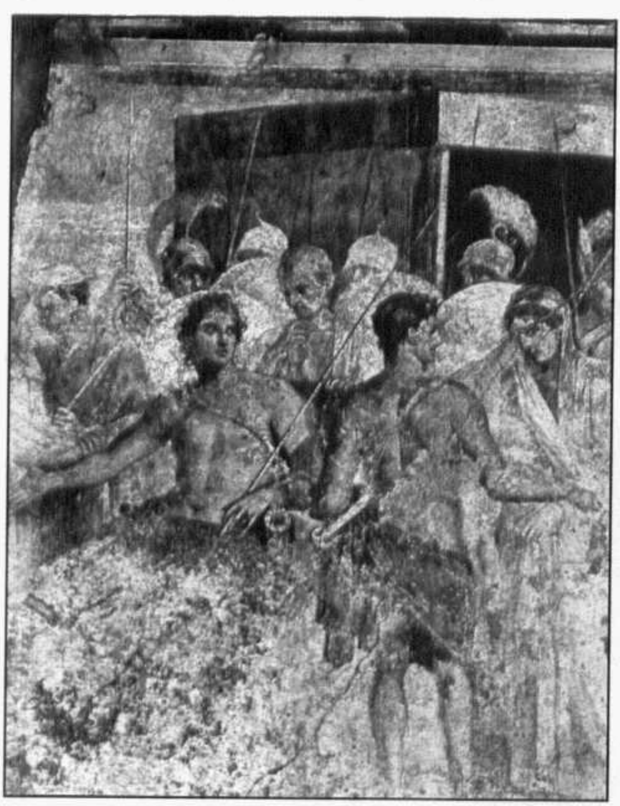




سباق المركبات رسم على خزف إغريقى

٣- الإلياذة Iliad:

تقع هذه الملحمة فى ٢٤ كتابا وفق تقسيم العالم أرسترخوس (قرن٢ق م) حيث نسخها من أربع وعشرين لفافة بردى. ويشتق اسم الملحمة من لفظة «إليون» (Ilion) وهى اسم آخر لمدينة طروادة نسبة إلى مؤسسها الأسطورى إيلوس (Ilus) على شطآن آسيا الصغرى. وموضوع الملحمة اختطاف الأمير الطروادى پارس لزوجة مضيفه منيلاوس ملك أسبرطة؛ هيلين الجميلة. فلقد هب الإغريق عن بكرة أبيهم للذود عن شرفهم وللانتقام بالحديد والنار من هذا الفعل الآثم. وقد تفتق ذهن الإغريق عن فكرة «الحصان الخشبى» المدجج بالفرسان والسلاح فى حصارهم الطويل لبوابة طروادة. وأثناء الحصار نشب نزاع بين القائد الأعلى للجيوش الإغريقية أجاممنون وبين البطل آخيل، لأن الأول كان قد انتزع فتاة اسمها برسيز (Briseis) من سبايا آخيل. وقد أقدم أجاممنون على انتزاع هذه الفتاة من آخيل عوضا عن الفتاة الجميلة كريسيز (Chryseis) التى كان قد اتخذها لنفسه من والدها كاهن معبد أبوللو. ولما انتشر وباء الطاعون فى معسكر الإغريق، أعلن العراف خالكاس (Calchas) أن البلاء كله يرجع إلى غضب أبوللو بسبب اختطاف ابنة كاهن معبده. وكان على أجاممنون أن يطلق سراح الفتاة الأسيرة، ثم أخذ فتاة آخيل عوضا عنها. وجن جنون آخيل من موقف أجاممنون الجائر، فانسحب إلى خيمته ومعسكره وأمر جنده من جبابرة المرميد (Myrmidons) ألا يشاركوا فى القتال مع رجال آجاممنون وبقية الفصائل اليونانية. وقد انضم إليه فى هذا الانسحاب صديقه الحميم بتروكلوس. ونتيجة لهذا الانسحاب يصاب الإغريق

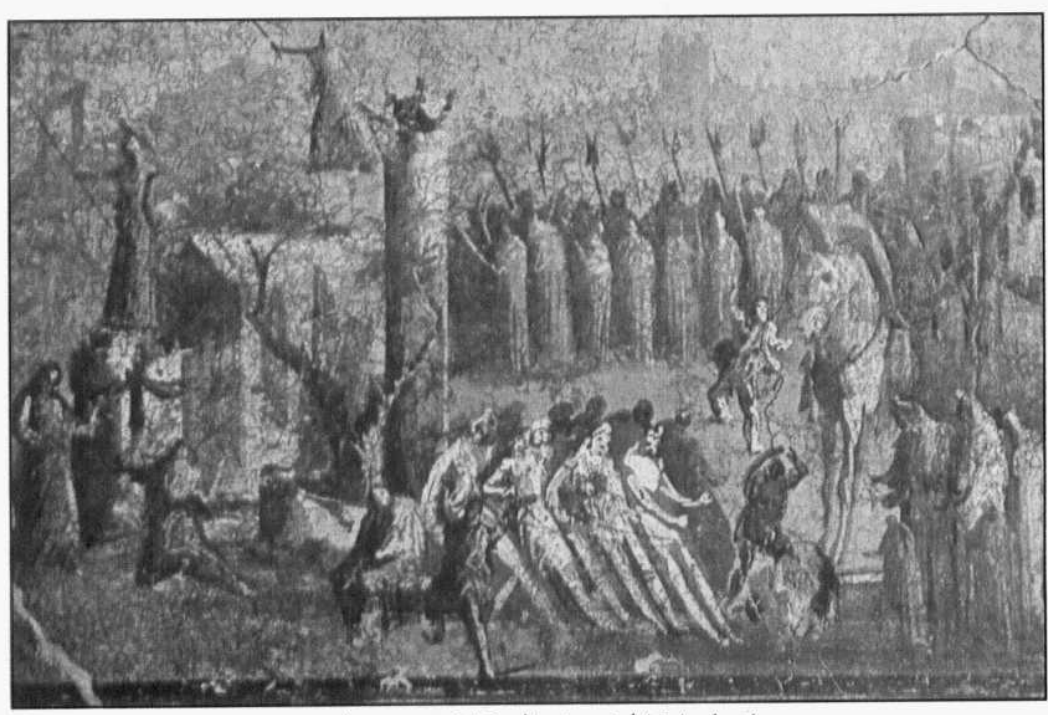


آخيل يسلم برسيز أثناء حرب طروادة

تصوير رومانى بومبى



بضربـات فادحة من جـانب الطروادين. ويحاول أجـاممنون أن يصالـح آخيل الغاضب بكل السبل، ولكن آخيل يرفض المصالحة ويعلن أنه سوف يبحر عائدا مع رجاله إلـى الوطن لأنه قد أهين. ورغم هذا الإعـلان فإن آخيل يـبقى فى خيـمتـه ليشاهد إذلال أجـاممنون على يد الطروادين. ويزداد مـوقف الإغريق حرجا يوما بعد يوم، ويشعـر بتروكلوس أن شرف اليونان قد أذل على بوابات طروادة وأسوارهـا، فتأخـذه الحمـية ويتـوسل إلى آخيل أن يسـمح له وجنده بإسعـاف الإغريق وتعـزيز قواتهم. ويوافق آخيل بل إنه يـقدم لصديقـه درعه الخاص عـلامة على الموافقة. وبـعودة بتروكلوس إلى معـسكر الإغريق تستـعر المعـركـة وينجح الأغـارقـة فى صد هجـوم الطرواديـين ودحرهم. غـيـر أن بتروكلوس يقـتل فى هذه المعركة الشرسـة على يد الأمير هكتور الابـن الأكبر لملك طروادة. ولما أن علم آخـيل بمقـتل صديقـه الحمـيم ندم أشـد الندم على تقاعسه عن القتال وأقسم أن ينتقم من قاتله الأمـير، فيبادر إلى مصالحة أجاممنون، ويصنع له «رب الحدادة» هيفايستـوس درعا جديدا. ويدور القتال من جديد ويمزق آخيل بسـيفه فرسان طروادة من يمين وشمال، حـتى ينفرد بالأمير هكتور فيـرديه. وبعدها يربط جسد الأميـر الطروادى القتيل فى عجلته الحربية ويجرجر جسده فى شوارع طروادة. وتبكى أندروماك وصغارها على الزوج هكتور،



حصان طروادة الخشبى فى المعركة تصوير رومانى بومبى



ويلطم والده الملك العجوز بريام على وجهه حزنا ومن ورائه زوجه هيكوبه. وتدق أجراس الأحزان فى قصر طروادة، ويجرى الملك العجوز لاهثا وراء عجلة آخيل يتوسل إليه بالدمع أن يسلمه جسد ابنه القتيل كى يواريه إلى مثواه الأخير بدلا من أن تلتهمه الكلاب الضالة. وبعد توسل ورجاء يرق قلب آخيل ويسلم جثة الابن لأبيه.

من جانب آخر نعلم أن الآلهة من فوق كانت ترقب الموقف فى حذر شديد؛ فبعضهم كان يؤيد الإغريق فى قضيتهم والبعض الآخر بات متعاطفا مع أهل طروادة المنكوبين. ومن بين هؤلاء انبرى واحدهم ونصح واحدا من رماة القوس الطرواديين بأن يصوب سهمه إلى «كعب» آخيل فيرديه. وحقيقة الأمر أن آخيل يوم أن ولد أوحت الآلهة إلى أمه أن تغطسه فى قدر من الماء المقدس يقيه من شر السهام. ولكن الأم أمسكت بآخيل من كعبه وغمرته فى قلب الماء ثم رفعته، وهكذا فإن جسم آخيل ـ عدا كعبه الذى كانت الأم تمسك به بأصابعها ـ صار منيعا ضد الجروح. ولذا فإن كعب آخيل كان مقتله. وبالفعل أصاب السهم كعب آخيل فأرداه، وياحزن الأغارقة على بطل الأبطال، وكم كانت مهابة جنازته.

وينتهى الأمر بسقوط طروادة وإبادة أهلها وإحراق مبانيها وقصورها، ثم العودة بهيلين إلى زوجها منيلاوس!

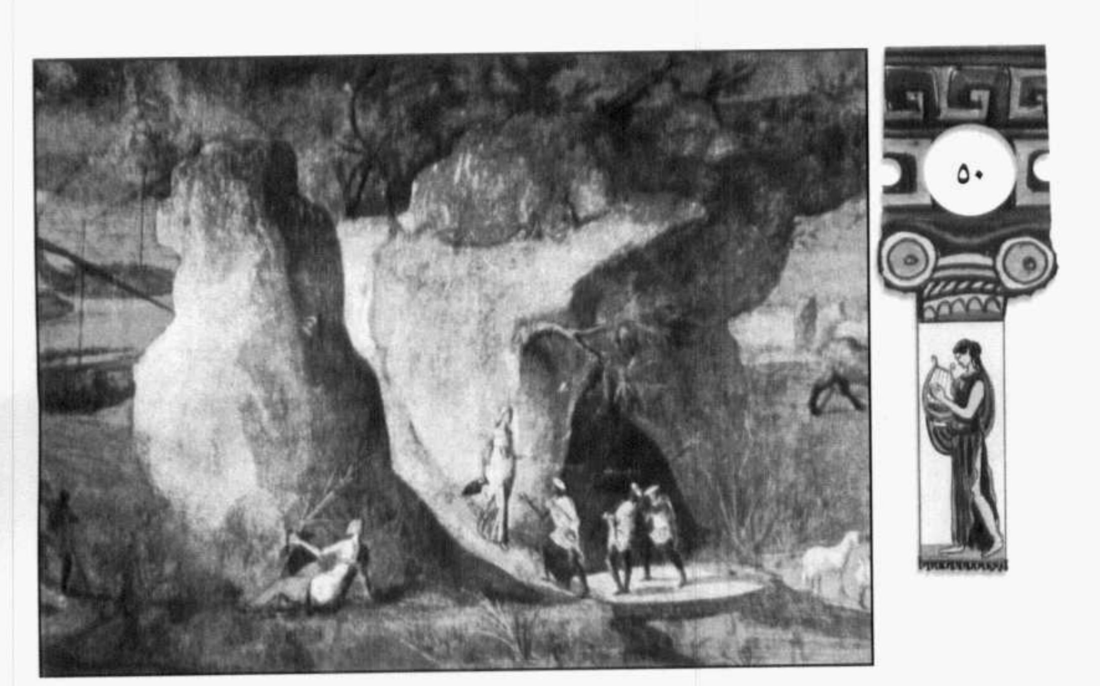
٤ - الأوديسة Odyssey:

وهى مثل الإلياذة تقع فى أربعة وعشرين كتابا، وتحكى رحلة الأهوال التى صادفها البطل أوديسيوس بعد مشاركته فى حرب طروادة. وتتولى الربة آثينا عناية أوديسيوس كى يتخطى صعاب البر والبحر: فلقد جنحت سفينته عند جزيرة أوجيجيا (Ogygia) حيث احتجزته الربة كالپسو لسبع سنوات. ولما أن طال غياب أوديسيوس إلى هذا الحد بعد أن رجع الجميع من حرب طروادة، ظن الناس أن أوديسيوس قد هلك فى الطريق. أما زوجته الوفية بنلوب كانت بحدسها الصادق تعتقد أن رجلها حى لم يمت، وتقاطر النبلاء من كل صوب يطلبون يد الأرملة الجميلة، ولكن بنلوب كانت ترفضهم الواحد بعد الآخر. ولما أن ألحَّ عليها الجميع فى ضرورة أن تتزوج، أعلنت أنها سوف تتدبر أمر الزواج ريثما تنتهى من نسج عباءة نذرتها لوالد زوجها العجوز لايرتيس. وكانت بنلوب تقضى الليل فى فك خيوط ما نسجته أثناء النهار، كسبا للوقت وأملا فى عودة الغائب. على أن حيلتها انكشفت ووجب عليها أن تختار لها زوجا، فطلبت من الجميع مهلة من الوقت تخلو فيها إلى نفسها لتستجمعها. فى أثناء ذلك كانت قد بعثت بابنها تليماخوس إلى

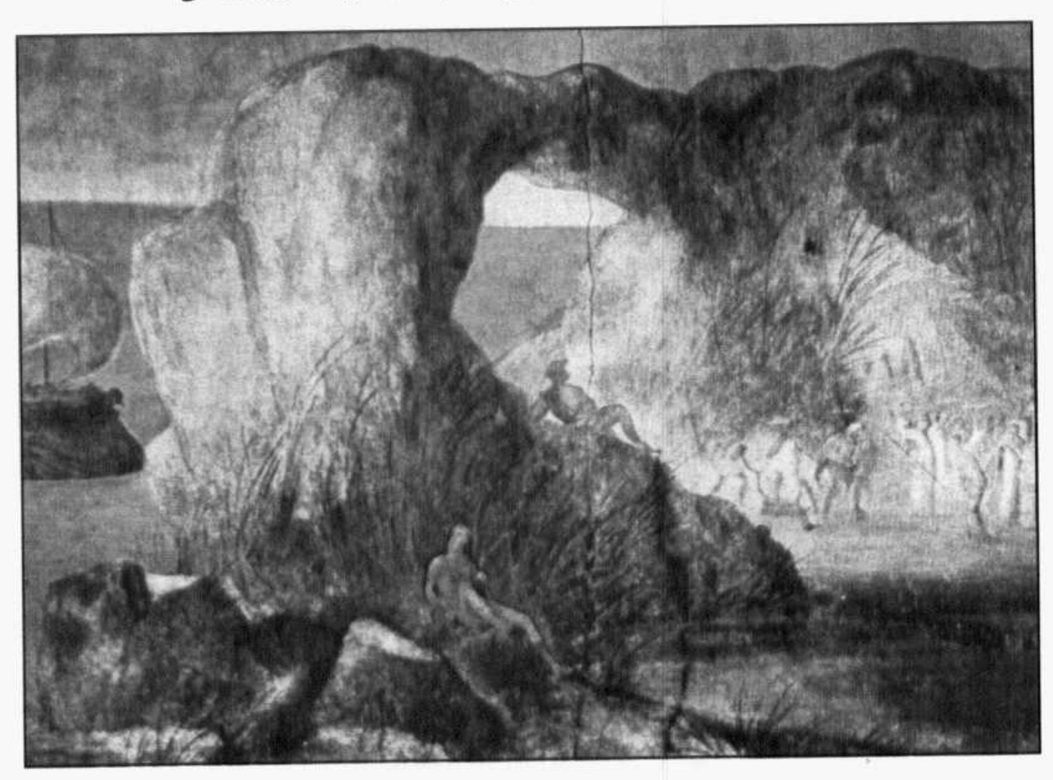
أسبرطة ليسأل مليكها وهيلين عن أخبار أبيه أوديسيوس. وأما خطاب بنلوب فإنهم ينصبون كمينا للإيقاع بالفتى تليماخوس فى رحلة عودته من أسبرطة. أما أوديسيوس فإنه يبتهل إلى زيوس كى يحرره من مخالب كالپسو، ويستجيب كبير الأرباب ويأمر كالپسو بإطلاق سراح أوديسيوس. غير أن البحر يقلب لصاحبنا ظهر المجن من جديد ويلقى به اليم على جزيرة شيريا (Scheria)، حيث تعثر عليه الأميرة ناوسيكا ابنة ملك الجزيرة ألكينوس. ولما أن أفاق أوديسيوس من غيبوبته يكشف لمضيفه ورجال بلاطه عن حقيقة شخصيته وعن دوره فى حرب طروادة، ويحكى لهم أيضا عن الأهوال التى صادفها فى رحلة العودة: من هجوم القراصنة، وغضبة للبحر والموج، ومن رعب جزر آكلى لحوم البشر العماليق، ومن مكر الساحرة سيرسه (Circe) التى ضربت رفاقه فمسختهم جميعا إلى خنازير، وكيف استعادوا آدميتهم بعد أن شربوا بلسما من الأعشاب الشافية. وروى على مضيفه أيضا كيف حكمت عليه هذه الساحرة اللعينة بأن ينزل إلى العالم السفلى (هيديس) حيث التقى بالعديد من قدامى الأبطال الموتى وذويهم، وكيف قدر له أن يتسلق إلى سطح الأرض ثانية بعد يأس أليم.

وبعد هذه الذكريات رق له قلب مضيفه فأعد له سفينة تحمله إلى وطنه إيثاكا (Ithaca) ثم تعود. وأبحر أوديسيوس عائدا هذه المرة فى سلام، على أن السفينة التى أقلته حلت عليها ضربة لعينة أحالتها إلى صخرة فى قلب البحر. كل هذا والربة آثينا تظلل البطل بمظلتها الواقية، ولذا فإنها نصحته بأن يتنكر فى زى شحاذ هرم حتى يتسلل إلى داره وزوجته فى أمان. عندما وصل أوديسيوس التقى بابنه تليماخوس الذى نجته الأرباب من كمين الأعداء، ويكشف الأب لابنه عن حقيقة شخصه. ويدخل أوديسيوس بيته فيتعرف عليه كلبه الوفى أرجوس وكذا المربية أيروسليا.

أما بنلوب فإنها تعلن أنها تقبل الزواج من الشخص الذى يفلح فى شج رءوس فأس مجنح برمية من قوس قديم لزوجها الغائب أوديسيوس. ويبدأ السباق ويعجز الخطاب واحدا تلو الآخر. ويتقدم أوديسيوس ويمسك بالقوس ويرمى بالسهم وهو صاحبه القديم، ويصيب السهم هدفه ويحطم رءوس الفأس، ويهلل القوم لهذا البطل. وتوقن بنلوب أن الذى رمى فأصاب لابد وأن يكون أوديسيوس نفسه وقد عاد، فتقبل عليه متهللة باسمة ومعها والد أوديسيوس. ثم يتولى الأب البطل والابن تليماخوس رمى الخصوم بالسهام فيهرب من يهرب ويسقط من يسقط. وهكذا يعود أوديسيوس البطل إلى بنلوب الوفية الصابرة.



زيارة أوديسيوس لشعب الفياكس (تصوير رومانى)



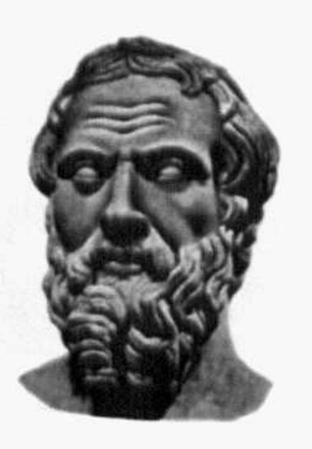
نزول أوديسيوس إلى العالم السفلى هاديس (تصوير رومانى)

٥ - إكزركسيس:

بعد انهـيار إمبراطورية الآشوريين وسـقوط عاصمتهم نينوى سنة ٦٠٦ ق م، قامت مملكة ميديا لترث الآشوريين. ثم ما لبثت ميديا أن سقطت بدورها أمام قوة فتية جـديدة هى قوة فارس بقيادة الملك قورش (Cyrus) ذائع الصيت سنة ٥٥٠ ق م، الذى بسط سـلطانه شـرقـا وغـربا. ثم خلفـه على العـرش الفـارسى ابنه قمـبـيز (٥٢٩ ـ ٥٢٢ ق م) وهو الذى قـام بغـزو مصـر ونكل بفرعـونها وأهلها وآلهـتها. ومن بعده جـاء دارا (٥٢١ ـ ٤٨٦ ق م) الذى مد نفوذ إمـبراطوريتـه إلى قلب أوربا ودمر بـلاد اليونان. غـير أن المدن اليونـانية استجـمعت قوتها وتصدت لجيـوش دارا، فآثر الانسحاب خاصـة بعد وصول الأخبار عن قـيام ثورة فى مصر، ومـا لبث دارا أن مات سنة ٤٨٥ ق م. وقد خلفه على الحكم ابنه إكزركسيس الذى قاد جيشا قوامه ٤٠٠,٠٠٠ رجلا وأسطولا يقدر بثمانمائة سـفيـنة، وهجم على بلاد اليـونان، ولكنه انهـزم فى نهـاية الأمـر سنة ٤٧٩ ق م، واضطر إلى الانسحاب إلى بلاده.

٦ - هيرودوت (٤٨٠ ـ ٤٢٥ ق م):

ولد هيرودوت فى بلدة هالـيكارناسوس لعائلة مـرموقة، فقـد كان عمـه بانياسيس شـاعرا ملحميا مـعروفا. وقد نفى هيرودوت من بلدته فى صدر شـبابه بسبب خصومة مـحلية. وقد قام هيرودوت بزيارة مصر وبلدان أخرى من حوض البحـر المتوسط، ثم زار آثينا وتعرف على زعيمها بيركليز. وبعد أن انتهى من كتابة «تاريخه» قرأ أجزاء منه على جمهور من مثقفى آثينا (٤٤٦ق م)، وقوبل عرضـه بإعجاب شديد. ولقد أطـلق عليه الخطيب الرومانى شيشـرون لقب «أبو التاريخ». والحق أن هيرودوت هو أول من عمل على التحقق من صحة الأخبار التى يوردها، وكان دوما يلح على الحقيقة ومصداقية الخبر. ويُعتَبَر هذا الإنجاز العلمى خطوة جبارة فى علم التاريخ، بعد أن حرره هيـرودوت من أغلال الشعر والملاحم والأساطير.



والموضـوع الذى يشـغل هيرودوت فى «تاريـخه» هو الصـراع الدامى بين اليونان والفرس، وقد خصص لهذا الموضوع تسعة أبواب، مليئة بمعلومات جـغرافية وأنثروبولوچية ودينية وسيـاسية، إلى جانب بعض النوادر والعـجائب التى تعكس روح العـصر الذى كـان يعيش فيه. وقد كتب هيرودوت مؤلفه بلهجة أيونية سلسة وواضحة:



١ ـ **الكتاب الأول**: تاريخ خسرو ملك ليديـا، ثم تأسيس الإمبراطورية الفـارسيـة على يد قورش، إلى جـانب بعض المعلومـات عن بابل والأناضول.

٢ ـ **الكتاب الثانى**: وصف مصـر ونيلها وكهنتهـا وعجائب معـمارها وأسرار التحنيط والآلهة المصرية.

٣ ـ **الكتاب الثالث**: غزو مصر على يد قمبيز، ثم مواصلة تاريخ فارس حتى وصول الملك دارا.

٤ ـ **الكتاب الرابع**: حملات دارا ضد أهل سكيزيا وليبيا.

٥ ـ **الكتاب الخامس**: غزوات القائد الفارسى مجابازوس لبلاد اليونان، ثم ثورة أيونيا ضد الفرس.

٦ ـ **الكتاب السادس**: زحف الفرس بقيادة ماردونيـوس على مقدونيا، ثم تحطم الأسطول الفارسى عند جبل آثوس.

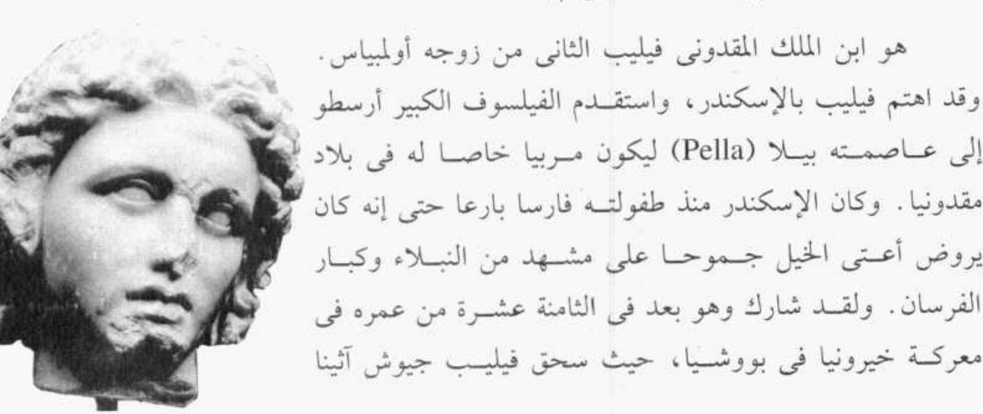
٧ ـ **الكتاب الـسابع**: موت دارا وظهـور ابنه إكزركـسيس وغزو بلاد اليـونان، ثم معـركة ثرموبولاى.

٨ ـ **الكتاب الثامن**: معركة سلامس وانسحاب إكزركسيس.

٩ ـ **الكتاب التاسع**: معركة بلاتايا وانسحاب الفرس، ثم معركة ميكالى الفاصلة.

ولقد أبدى كونتيليان (٣٥ ـ ٩٥م) وهو من أعلام الكتـاب الرومان إعجابه الشديد بكتابات هيرودوت فوصف أسلوبه التاريخى «بالسـلاسة والوضوح وتعدد الرؤى» (Dulcis, Candidus et Fusus).

٧- الإسكندر الأكبر (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق م):



هو ابن الملك المقدونى فيليب الثانى من زوجه أولمبياس.

وقد اهتم فيليب بالإسكندر، واستقـدم الفيلسوف الكبير أرسطو إلى عـاصمـته بيـلا (Pella) ليكون مـربيا خاصـا له فى بلاد مقدونيا. وكان الإسكندر منذ طفولتـه فارسا بارعا حتى إنه كان يروض أعـتى الخيل جـموحـا على مشـهد من النبـلاء وكبـار الفرسان. ولقـد شارك وهو بعد فى الثامنة عشـرة من عمره فى معركـة خيرونيا فى بووشـيا، حيث سحق فيليـب جيوش آثينا



وطيبة مجتمعة وذلك فى سنة ٣٣٨ ق م. وكان الإسكندر يقود فرقة الفرسان فى هذه المعركة التى وضع فيها فيليب النهاية المحزنة للديمقراطية التى ميزت دويلات المدن اليونانية.

كان الإسكندر شديد الشغف بالشاعر هومر، وكان يحمل نسخة من «الإلياذة» حتى فى معاركه، وبعد أن هزم الملك الفارسى دارا عشر فى غنائمه على صندوق ثمين، فوضع الإلياذة فى داخله.

غير أن فيليب تزوج مرة ثانية من فتاة مقدونية اسمها كليوبترة، الأمر الذى أوغر صدر أولمبياس الزوجة الأولى وابنها الإسكندر؛ ولذا فإن أولمبياس سوف تدبر بألاعيبها الشيطانية كل الحيل حتى تنجح فى قتل كليوبترة وابنها الذى رزقت به من فيليب ووالدها جميعا. هذا، وقد اغتيل فيليب سنة ٣٣٦ ق م بطعنة خنجر.

بعد وفاة فيليب خلفه الإسكندر على عرش مقدونيا، وتشير الروايات المعاصرة إلى أن أولمبياس كانت وراء مقتل زوجها فيليب، فمع أن الإسكندر قام بإعدام قاتل أبيه إلا أن أولمبياس كانت تبدى عطفا غير عادى على هذا القاتل! ولقد انتهزت المدن اليونانية فرصة اغتيال فيليب، فهبت بالثورة ضد الجبروت المقدونى، ولكن الإسكندر قمع هذه الثورات بالحديد والنار. واضطر زعماء الإغريق كارهين إلى تنصيب الإسكندر قائدا أعلى للجيوش اليونانية، وذلك فى مؤتمر عقد فى مدينة كورنثا حيث وقعت حكاية الإسكندر مع الفيلسوف الزاهد ديوجنيس. وفى أثناء معارك كان الإسكندر يخوضها على تخوم مقدونيا الشمالية، سرت شائعة بأن الإسكندر قد مات، فثارت مدينة طيبة من جديد. ولكن الإسكندر زحف هائجا على المدينة وقمع أهلها فى قسوة بالغة حتى أنه سوى بيوتها برماد الأرض، ولم يبق فيها إلا على بيت واحد هو منزل الشاعر المرموق بندار.

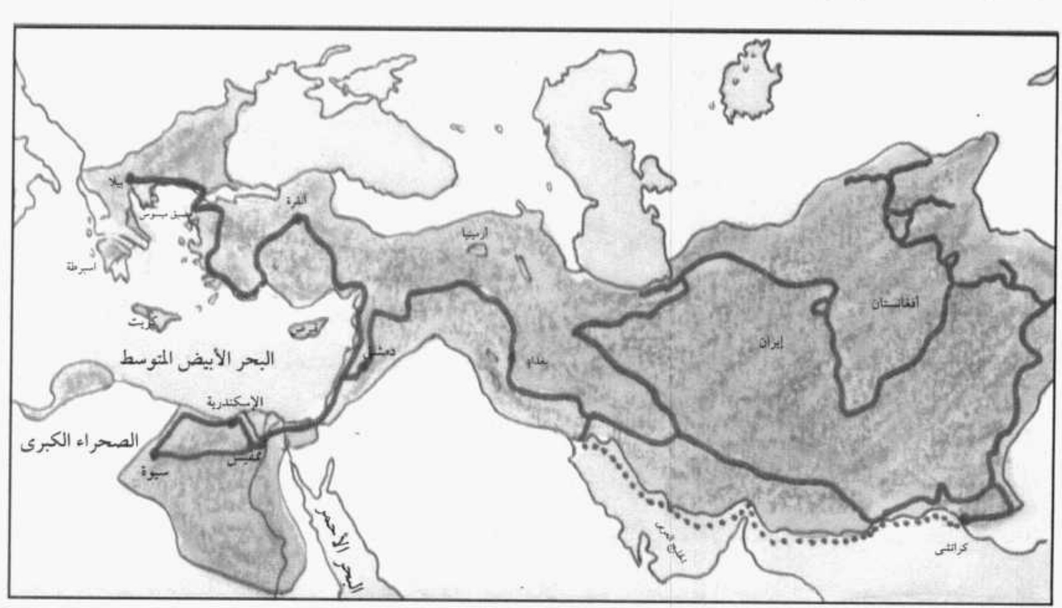
بعد أن فرغ الإسكندر من السيطرة على بلاد اليونان قرر أن يزحف بجيوشه على آسيا ليقلم أظافر الفرس وليرسى قواعد إمبراطورية عالمية يكون هو سيدها الأوحد. وفى سنة ٣٣٤ ق م زحف ضابطه المرموق بارمنيو على آسيا الصغرى ليمهد الطريق لسيده الإسكندر، الذى استولى على مدائن آسيا الصغرى تباعا: فسقطت فى يده سارديس، وهاليكارناسوس، وليقيا، وبامفيليا، وفرجيا. وعند مدينة طروادة أمر الإسكندر بنحر الذبائح وتقديم الأضحيات على قبر بطل الإلياذة المغوار آخيل، كما أمر رجاله بأن يتجردوا من ملابسهم ويطوفوا حول القبر وهم عرايا ينثرون الورود والزهور على مرقد بطل الأبطال!





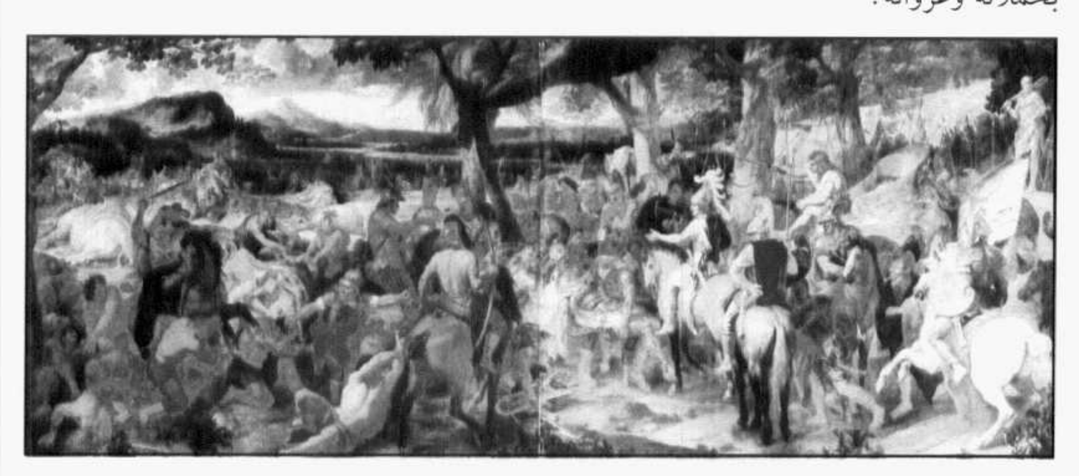
عملة ذهبية عليها صورة الإسكندر الأكبر والملك فيليب

وفى ربيع سنة ٣٣٣ ق م عبر الإسكندر بجيوشه مناطق قبادوقيا وبوابات قيليقيا حتى وصل جبال طرسوس. وفى سهل إسوس (Issus) أسفل جبل آمانوس، التقى الخصمان الإسكندر ودارا، ودارت الدائرة على دارا، ففر من ميدان المعركة، فى حين أن والدته وزوجه وبناته وقعن فى الأسر، وإن كان الإسكندر قد أحسن معاملة هؤلاء الأسرى من الأميرات والأمراء. بعد هذا النصر على الملك الفارسى، اتجه الإسكندر صوب بلاد الشام فاستولى على صور وتقدم بعدها إلى غزة ثم دخل مصر سنة ٣٣٢ ق م. وفى أثناء زحفه هذا وصلته رسالة من الملك دارا يعرض عليه الصلح على أن يتنازل له دارا عن الأراضى الواقعة غربى نهر الفرات، وأن يزوجه إحدى بناته وأن يدفع له فدية دسمة لافتداء أهل بيته من الأسرى. وقد علق القائد بارمنيو على هذا العرض بقوله: «لو كنت الإسكندر لقبلتُ هذا العرض»؛ ولكن الإسكندر رد عليه قائلا: «وأنا أيضا لو كنت بارمنيو لقبلت العرض»!



خريطة فتوحات الإسكندر الأكبر - خط سير الحملة العسكرية

وبعد طرد الفــرس من مصر، وزيارته التــاريخية لمدينة منف، وتتــويجه بتاج الفراعين، وتأسيس مدينة الإسكندرية (٣٣١ ق م)، وزيارة معبد آمون فى واحة سيوة، قرر الإسكندر أن يستأنف حملاته ضد الفرس ليزحف بعدها على ربوع آسيا. وعبرت جيوشه نهــرى الفرات والدجلة، والتقى الطرفان فى معركة جوجاميــلا بالقرب من مدينة أربيلا (شمالــى العراق)، ودحرت قوات دارا من جديد. وســقطت مدائن الفــرس تحت قدمى ذى القــرنين، إذ دانت له بابل ثم سوســه ثم برسوبولس. وفى هذه العــواصم العريقة وجــد الإسكندر كنوزا لا تحصى من الذهب فاســتولى عليها جمــيعا، وقيل أنه وجد فى قــصور الفرس كمــيات هائلة من ميــاه النيل كان الفــرس قد خزنوها فى قــصورهم. على أن الإسكندر أمر بإحراق قصر الملك إكزركــسيس الذى كان قد أرعب بلاد اليونان بحملاته وغزواته.



ثم تابع الإسكندر خطته فزحف إلى جوف آسيا حتى وصل أرض سمرقند (Maracanda)، وفى طريقه أسس عدة مدن باسم «الإسكندرية»، وبعدها عبر جبال هندوكوش الوعرة.

وتذكر المصادر أن تحولا خطيرا قد طرأ فى هذه المرحلة على شخص ذى القرنين، إذ إنه راح يفرط فى الشراب، كما أنه ارتدى الزى الفارسى وأحاط نفسه بنفر من نبلاء الفرس الشباب، الأمر الذى أثار حفيظة رجاله المقدونيين. لذا فإن تمردا وقع فى معسكر الإسكندر سنة ٣٢٧ ق م، ولكنه قمع المتمــردين فى وحشية بالغة. وبعــد هذه الحادثة امتلأ قلب الإسكندر بمشــاعر الشك والريبة، وقام بإعدام الكثيرين من رجاله، وكان من بين ضحــاياه ابن صديقه بارمنيو، ثم بارمنيو نفسه بعد ذلك، وتبعهما إلى نفس المصير التعس كــاليستنيز ابن أخ أستاذه أرسطو. ويذكر أن الإسكندر كان له جواد محبب إلى نفسه يدعى بوكيفالوس، ولما أن مات هذا الجواد شيد له الإسكندر مدينة تحمل اسمه وتخلد ذكراه وهى مدينة بوكيفاليا!



وفى نفس السنة التى وقع فيها التمرد، تزوج الإسكندر من ابنة أحد الأمراء المحليين وهى الأميرة الفاتنة روكسانا. وبعد هذا الزواج الميمون شرع الإسكندر فى الزحف لغزو بلاد الهند، وعبرت جيوشه ممر خيبر حتى وصلت شط نهر السند، وتقدم الجيش المقدونى - وقوامه ١٢٠,٠٠٠ من المشاة و١٥,٠٠٠ من الفرسان - بعبور السند (٣٢٦ ق م) حيث اشتبك مع ملك البلاد بوروس وأفياله، وبعد انتصاره على سيد الأفيال زحف على أرض البنجاب قبالة نهر الجانج. غير أن الأوبئة ومشقة الجبال والممرات ووعورة الأرض ووهج الشمس كانت قد قتلت الكثيرين من جند الإسكندر، فضاق معسكره وصاح البعض أن سيدهم قد تلبسه شيطان يزين له غزو الكرة الأرضية جميعا. وأمام هذا الموقف المتحرج قرر الإسكندر أن يعود أدراجه إلى بلاد الفرس وبابل العاصمة.

ويروى أن الإسكندر قد أقدم على شنق عدد من حكماء الهند؛ لأنهم كانوا يستنفرون الأمراء الهنود على التصدى لهذا الغازى الغريب. على أنه وهو فى الهند قد دخل أيضا فى حوار مع بعض فلاسفة البلاد، وطرح عليهم عدة تساؤلات طريفة منها:

* من أكثر عددا: الموتى أم الأحياء؟
* أيهما يحوى عددا أوفر من جنس الحيوان: البر أم البحر؟
* أى الحيوانات أشد مكرا؟
* أيهما أطول: الليل أم النهار؟
* كم من السنين يطيب للمرء أن يحياها على ظهر الدنيا؟

ومن أحكم الإجابات التى تلقاها من حكماء الهند فى تساؤله عن أشد الحيوانات مكرا، قولهم «إنه ذاك الحيوان الذى لم ينجح بشر بعد فى اصطياده؟ كذلك إجابتهم عن عدد السنين التى يحلو للمرء أن يحياها قولهم: «حتى يصبح الموتُ أملا يشتهيه المرء خلاصا من أوجاع هذا العالم»!

وفى سنة ٣٢٥ ق م بدأت رحلة العودة من بلاد الهند، وكان الإسكندر قد فقد ثلاثة أرباع جيشه، واستغرقت الرحلة المضنية ستين يوما كاملة. وفى مدينة سوسة الفارسية وجد الإسكندر أن مقبرة قورش مؤسس الإمبراطورية الفارسية قد تهدمت، فأمر بإعدام المهندس المقدونى الذى كان منوطا برعاية المقبرة، وأمر بإعادة نقش باللغة اليونانية على القبر يقول: «أنا قورش سيد

الأرض . . . أيها الوافد كـائنا من تكون ومن أى ركن من الدنيا تحل علينا . . . ليس ثمة من داعٍ لأن تحقـد علىَّ لأجل بقعة ضيقة من أرض الدنيـا تستر على عظامى » .

وفى سوسـة أيضا تزوج الإسكندر مـرة أخرى من الأميـرة ستـاتيرا ابنة الملك دارا، وفى حـفل الزفـاف المهـيب الذى حـضره ٩,٠٠٠ من الأعـيـان والكبار وعليـة القوم، قدم الإسكنـدر لكل ضيف كأسـا من الذهب الخالص. وكان الإسكندر قـد استضاف أيـضا ثلاثة آلاف من مشاهيـر الفنانين والفنانات والراقـصـات فى بلاد اليونـان. وفى إحدى لمحـات كـرمه، قـرر أن يصـرف معاشات لأبناء القتلى من جنده ولقدامى المحاربين أيضا.

كان الإسكندر قـد جند ثلاثين ألفا من خـيرة أبناء فـارس وجعل منهم حرسه الخـاص، وراح يتباعـد علنا عن أتباعه من المقدونيين والـيونانيين. وفى هذه المرحلة حطت على عقله سحابة من التـشاؤم والتوجس، وكان يصاب كثيـرا بنوبات من الغضب المجنون، فيهين قواده وخاصته وخـدمه بالكلمة وباليد وبالقدم. وازدحمت مجالسه بـالعرافين والمنجمين والسحرة ومفـسرى الأحـلام من كل جنس، ولقد أرسـل اثنين من خاصـته هما پـيثون، وسلـوقوس إلى الإسكندرية لإحضار المعـبود سرابيس إليه فى بابل، ولكن سيـرابيس رفض أن يبرح الإسكندرية. وفى سنة ٣٢٣ ق م مرض الإسكندر بالحمى، ثم ما لبث أن مات وهو بعد فى ريعان الشباب (٣٣ عاما فقط)، وكان ذلك فى مدينة بابل العريقة.

٨ - أين توجد مقبرة الإسكندر؟

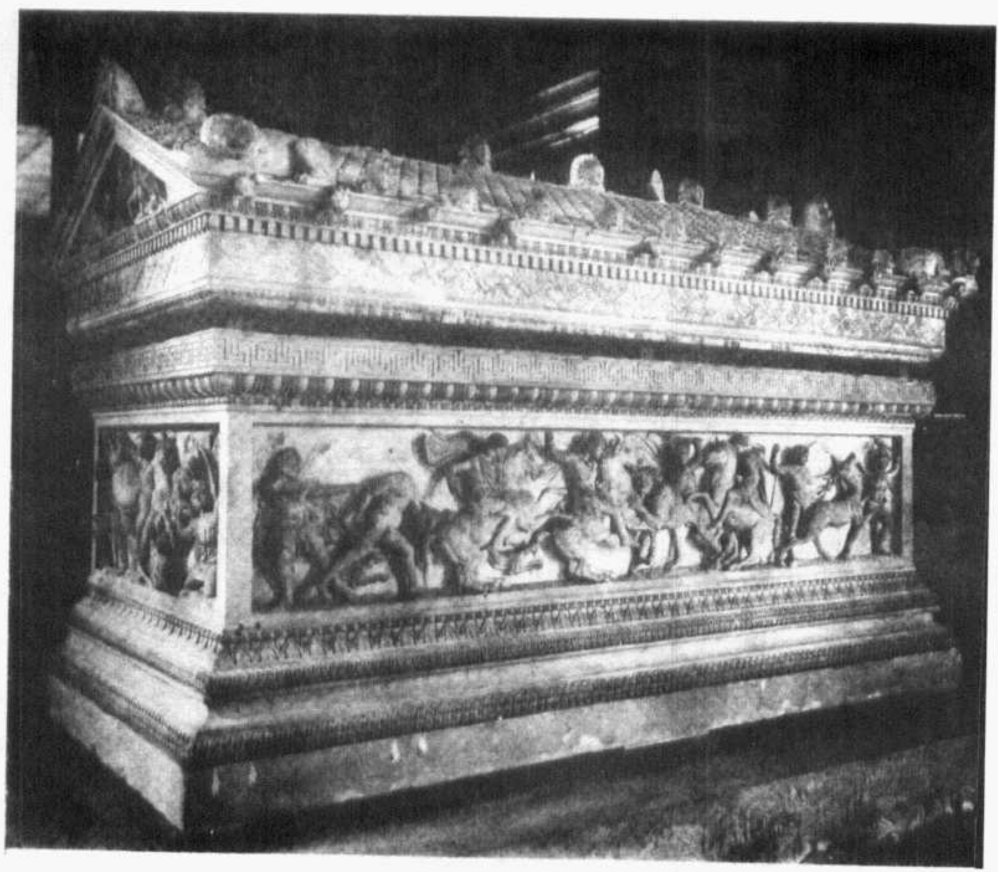
يورد المؤرخ بلوتارخ رواية حيرت بلوتارخ نفسه: فيقول أن أرسطو عندما وصلت إليه أخبار تحول عقل الإسكندر وقتله للمقربين إليه من خـاصة وعامة ومن بينهم ابن أخ أرسطو نفسه، نصح الفيلسـوف نفرا من أهل الثـقة بأن يجـمعوا قطرات من الـسم الندى من على صخـرة نوناكريس (Nonacris) وأن يحفظوها مثلجة كما هى فى حافر حمار، وأن يقطروا منها فى شراب الإسكندر تباعا حتى يأتى السم عليه دون أن يلحظ ذلك أمـهر الأطباء أو العرافين! ولكن الدارسين يرفضون هذه الرواية، ويميلون إلى الأخذ بأن بعـوضة قد لدغت الإسكندر فمـات بحمى الملاريا فى بابل، ويجادلون بأن جثمان الإسكندر قد ظل بضـعة أيام دون أن تظهر عليه علامات من آثار السم ـ لو وجد ـ من تلون للجلد أو انتفاخ أو عفونة.

هذا، وبعد موت الإسكندر أرسلت زوجـته روكسانا ـ وكانت حاملا ـ بـرسالة إلى زوجته الفارسية الجديدة ابنة دارا بأن الإسكندر مريض يتـعافى. ولما أن وصلت الزوجة الفارسية إلى بابل

قامت روكسانا بقتلها هى وأختها وألقت بهما فى بئر ثم ردمت البئر بالتراب. وقد فعلت روكسانا فعلتها تلك بمعونة أخ غير شرعى للإسكندر يدعى آريدايوس، وهو شاب مخبول متخلف العقل، وطبقا للروايات فإن أولمبياس والدة الإسكندر كانت تدس لهذا الشاب السم فى طعامه وشرابه حتى صار إلى ما صار إليه من حال!

لقد شغلت مسألة جثمان الإسكندر وموضع قبره علماء الآثار والتاريخ فى مختلف الأروقة العلمية. وخضعت روايات بولبيوس (٢٠٠ - ١١٨ ق م)؛

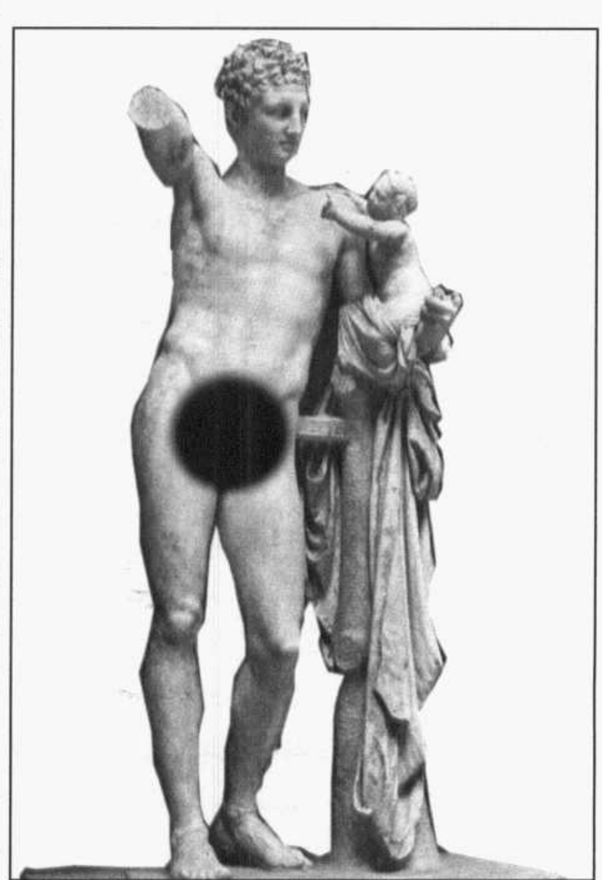
تمثال الإسكندر الأكبر واقفا مثل هرمس



تابوت الإسكندر الأكبر - صيدا

وديودورس الصـــقـلى (٦٠ ـ ٣٠ ق م)؛ وســتــرابون (٦٤ ق م ـ ٢١ م)؛ وروفـــــوس (٤١ ـ ٥٤م)؛ وبلـوتارخ (٥٠ ـ ١٢٠م)؛ وأريـانوس (١١٧ ـ ١٣٨م)؛ وباوسـانيـاس (حـوالى ١٥٠م)؛ وإبيـانوس (١٣٧ ـ ١٦١م)؛ وديو كاسيوس (١٩٤ ـ ٢٢٩م)، خضعت هذه الروايات جميعا للبحث المدقق والنقد الموضوعى أمـلا فى العثـور على بصيص من النور يشـير صراحـة إلى موضع جثمان الإسكندر (To Soma) ولكن دون جدوى للأسف.

فقد ذكر المؤرخ سيوتونيوس (النصف الأول من القرن الأول الميلادى) أن الإمبراطور أوكتاڤيانوس أغسطس، بعد انتصاره عـلى خصمه مارك أنطونى وعشـيقته كليـوبترة السابعـة فى موقعة أكـتيوم البحـرية (٣١ ق م)، قد دخل الإسكندرية غـازيا، ثم قام بزيارة إلى مـقبـرة الإسكندر التى شيـدها له الملك بطليموس الأول فى الإسكندرية، وأن أغسطس قـد وضع تاجا من الذهب على رأس البطل الراقد كما نثر الورود على جسده المسجى. وأما المؤرخ سترابون فإنه يـحدد قبر الإسكندر ببقعـة فى حى السلسلة الحالى على وجه التحديد. وأما ديوكاسيوس فإنه يؤكد أن الإمبراطور سبـتيموس سڤيروس عندما قدم لمحاورة فلاسفة الإسكندرية، قد زار بدوره قبـر الإسكندر، ووضع لفائف من البردى على الجـثمـان المسجى. ويذهب نفس المذهـب كل من تاتيـوس (الـقـرن الثـانى للميـلاد)؛ وهيـروديانوس (أوائل القرن الثالث للميلاد)، ويقول الأخير أن الإمبراطور كـاراكالا (٢١١ ـ ٢١٧م) قام عند زيارته للإسكندرية بزيارة خاصة لقبر البطل الإسكندر.



هرمس مع ديونسيوس الطفل

وتتجه الأنظار من وقت بعيد نحو حى كـوم الدكـة (Paneum)، وتقـاطع شـارع العطارين الحـالى مع شـارع النبى دانيال، ولا تزال المعركة ساخنة لا تهدأ.



ويشكك بعض المتخصصين فى الأمر برمته، ذلك لأن أهل مقدونيا كانوا يحرقون جثث ملوكهم وموتاهم، وهذا ما حدث لفيليب والد الإسكندر، ويجادل هذا الفريق بأن جثة الإسكندر قد أحرقت هى أيضا. وهناك من يزعم أن الإسكندر يرقد فى واحة سيوة بجوار معبد أبيه آمون! على أنه إذا كان الإسكندر قد صار ابنا للإله آمون، بعد أن اعترف به كهنة منف فرعونا خلصهم من نير الفرس، فلربما أنه قد أوصى بأن يحنط جسده كعادة الفراعين وأن يدفن فى عاصمة إمبراطوريته الإسكندرية، عروس السكندريات وزينة البحر المتوسط، وهذا ما فعله ضابطه المخلص وصديقه بطليموس بن لاجوس! والأمر متروك للعلماء المتخصصين لكشف المستور.

لقد شغلت شخصية هذا الفتى المقدونى الفذ ألباب الخاصة والعامة من معاصرين ومحدثين. ولقد عكف العلماء من كل مذهب على التأمل فى سجلات هذا الفاتح، حتى إن كارل يونج نفسه اتخذه نموذجا لتحليله النفسى ونظرياته فى الشعور واللاشعور وعقدة أوديب وأمه يوكستا، وذلك على خطى أستاذه سجموند فرويد وهرطقاته النفسانية. والحق أن الإسكندر الأكبر يمثل حالة متفردة فى التاريخ الإنسانى، حالة من الطموح القلق الذى لا يهدأ، حتى إن البعض شبهه بهرمس ابن زيوس من زوجه مايا الذى هرب يوم مولده من مهده هائما فى البرية، فلقى سلحفاة ضخمة فقتلها ثم صنع من قوقعتها قيثارة يعزف عليها أعذب الألحان. وبلحنه استمال آذان قطيع أبقار وأغنام الإله أپوللو واستولى عليه. ولما أن زمجر أپوللو غضبا استرضاه هذا الطفل العبقرى بأوتار قيثارته. ولقد أثار هرمس إعجاب الأرباب وكبيرهم فى الأكروبول فاختاروه رسولا لهم للأرباب والبشر معا، وصار بعد ذلك مرشدا للأرواح فى رحلتها إلى عالم «هيديس» السفلى، كما اتخذه الرعيان لهم حاميا ساترا، والتحف به اللصوص غطاءً واقيا، واحتفظت به الصبايا مداعبا لأحلامهن الجميلة.

أما أتباع الأفلاطونية المحدثة من أهل الإسكندرية (قرن ٣م) فقد رأوا فى هرمس تجسيدا للإله توت رب الحكمة المصرى، فكلاهما صوفى يتجاوز حد الزمان والمكان، وهو بعد طفل وشيخ فى آن واحد، وهو لا يقبع فى ذاته وإنما يطال الآخر أينما وجد فى رحلة خروج (Extasis) قبالة «المحرك» الأول والعقل المدبر (Enosis)، كما كان يقول أفلاطون ثم أرسطو معلم الإسكندر. وهكذا اختلط الإسكندر التاريخى بالإسكندر الأسطورى.. اختلط ذو القرنين بهرمس والهرامسة.. وهو بعد لغزٌ محير... وأحدوثة العالم من قديم ومن جديد!

٩ - سقراط (٤٦٩ - ٣٩٩ ق م):



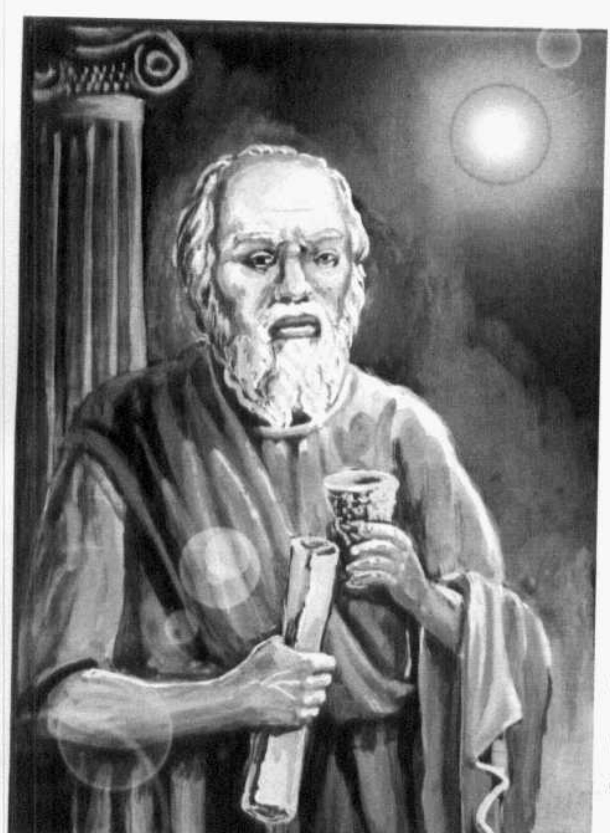
ولد سنة ٤٦٩ ق م فى بلدة ألوبكى بالقرب من آثينا، وكان أبوه سوفرونيسكوس نحاتا وكانت أمه فاناريتى تعمل قابلة، وتزوج سقراط من إكزانثيبى، التى كانت زوجة مشاكسة. ولم يكن سقراط يهتم بمظهره أو ملبسه أو ماله، ولكنه شغل وظيفة رئيس لمجلس المدينة (آثينا) حيث أبدى شجاعة أدبية نادرة فى معارضة إدانة بعض القادة العسكريين بشكل غير قانونى. وفى سنة ٣٩٩ ق م وجهت إلى سقراط تهمة التطاول على الآلهة اليونانية وإفساد عقول الشباب. وقد أبدى سقراط رباطة جأش نادرة عندما حكم عليه بالموت بأن يتجرع كأسا من السم، فتجرعها دون تردد!

لم يترك سقراط شيئا مكتوبا من فلسفته، وإنما وصلتنا تعاليمه عن طريق تلميذيه أفلاطون وأكزنيفون.

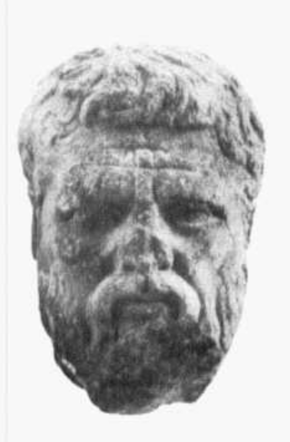
وتدور أفكار سقراط فى الدرجة الأولى حول القيمة الأخلاقية وحب الفضيلة، وكان يحاور تلاميذه بنهج السؤال والجواب؛ بينما كان هو نفسه يتظاهر بأنه لا يدرى الإجابة على بعض التساؤلات، وإنما يبحث عنها فى أدمغة مريديه وتلاميذه وصحبه. والفضيلة عند سقراط هى المعرفة الحقة، وما شرور البشر إلا نتيجة للجهل، وغياب مفهوم الخير عن نفوسهم. وكان يؤمن بأن منظومة الكون تخضع فى أفلاكها للروح الإلهية، وبأن الروح خالدة، وسوف تقف فى الدار الآخرة أمام ميزان الحساب والدينونة على أفعالها فى الأرض. كذلك نلمح فى أفكار سقراط نزعة صوفية واضحة، أثرت فى تلميذه أفلاطون وفى الأفلاطونيين الجدد فيما بعد. ويقول أرسطو فى «الميتافيزيقا» إن فضل سقراط يكمن فى أمرين أساسيين: الديالكتيك الاستقرائى؛ والبحث الكلى الخالص. وهو أول من ربط بين فكرتى الفضيلة والمعرفة. كذلك فإن قبوله الموت بسبب تمسكه بعقيدته الفلسفية قد صار ملحمة تسترشد بها من بعده أجيال من الفلاسفة ومحبى الحق. ومن أشهر تلاميذه أفلاطون، وانتسينيز من أتباع الفلسفة الكلبية (Cynics)؛ وإقليدس من ميغارة، وأرستبوس الأبيقورى.

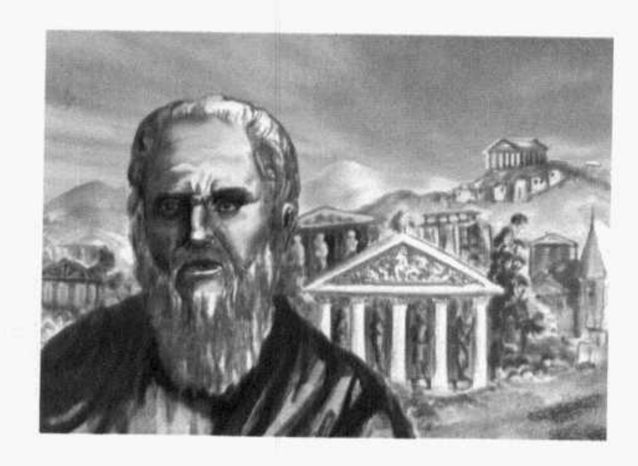
١٠ - أفلاطون (٤٣٧ - ٣٤٨ ق م):

ولد أفلاطون لأسرة نبيلة فى آثينا، وقد اهتم فى بداية حياته بالشعر، ولكنه بعد لقائه بسقراط اتجه كلية إلى الفلسفة. وكان أفلاطون يؤمن إيمانا قويا بقيمة الكلمة المنطوقة أكثر من الكلمة المكتوبة، ولعل هذا يفسر اهتمامه بالمحاضرة والمحاورة مع تلاميذه، وهى خاصية اكتسبها

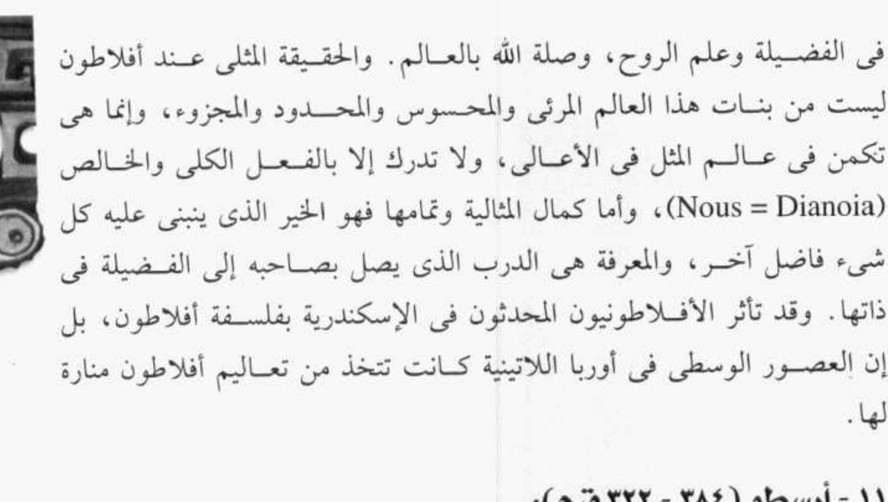


من أستاذه سقراط (٤٦٩ -٣٩٩ ق م). ورغم هذا التوجه فإن أفلاطون قد ترك العديد من الأعمال في شكل محاورات ومطارحات، تتضمن فلسفة أستاذه سقراط وسيرة حياته. والمعروف أن نفرا من الحاقدين في آثينا قد تآمروا على سقراط وألصقوا به تهمة التطاول على الآلهة وإفساد عقول الشباب، ولذا فقد قبض عليه وحوكم ثم أعدم في قسوة إذ كان عليه أن يشرب كأسا من السم. ولم يهتز الرجل وهو يتجرع الكأس حتى النفس الأخير. وقد ترك لنا أفلاطون «دفاع» (Apologia) سقراط عن نفسه أمام القضاة، إلى جانب عدة محاورات أخرى بعناوين: السيبياديز؛ جورجياس؛ مينو؛ فيدو؛ المائدة (Symposium). ومن أعماله الهامة أيضا كتابه «الجمهورية» (Respublica) أو «المدينة الفاضلة»، وكتاب «القوانين»، وبعض الرسائل التي بعث بها إلى أصدقائه وتلاميذه، ومن بينهم الأمراء والملوك. وتقوم فلسفة أفلاطون على محور أخلاقي وعلى بعد ميتافيزيقي، متضمنة البحث





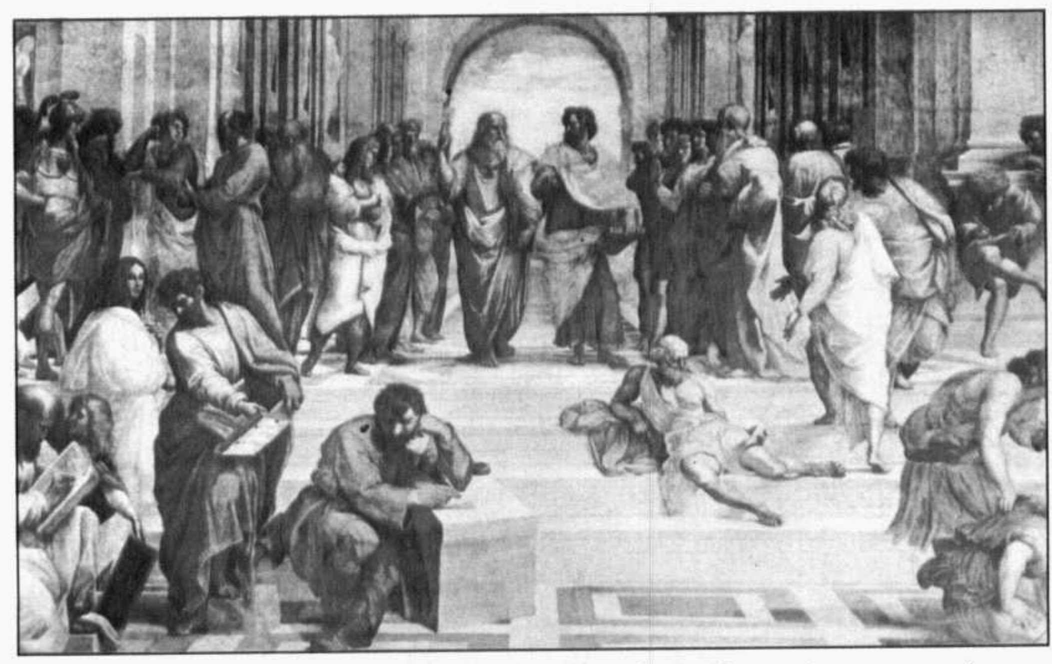
أفلاطون



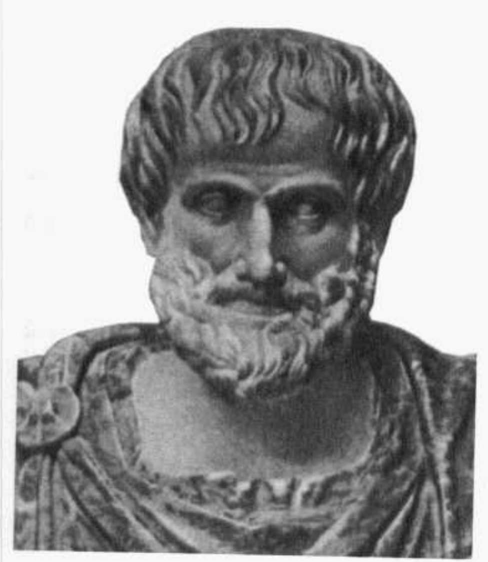
فى الفضيلة وعلم الروح، وصلة الله بالعالم. والحقيقة المثلى عند أفلاطون ليست من بنات هذا العالم المرئى والمحسوس والمحدود والمجزوء، وإنما هى تكمن فى عالم المثل فى الأعالى، ولا تدرك إلا بالفعل الكلى والخالص (Nous = Dianoia)، وأما كمال المثالية وتمامها فهو الخير الذى ينبنى عليه كل شىء فاضل آخر، والمعرفة هى الدرب الذى يصل بصاحبه إلى الفضيلة فى ذاتها. وقد تأثر الأفلاطونيون المحدثون فى الإسكندرية بفلسفة أفلاطون، بل إن العصور الوسطى فى أوربا اللاتينية كانت تتخذ من تعاليم أفلاطون منارة لها.

١١ - أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م):

ولد أرسطو فى بلدة ستاجيرا من أعمال خلقيديقى، ووالده هو نيكوماخوس الذى كان يعمل طبيبا فى بلاط ملك مقدونيا آمنتاس الثانى. وفى سنة ٣٦٧ ق م وفد أرسطو على آثينا وتتلمذ على يد الفيلسوف أفلاطون حتى وفاة الأخير سنة ٣٤٧ ق م. وفى نفس هذه السنة كان فيليب قد أغار من ملكه الجديد فى مقدونيا على دويلات المدن اليونانية، ودمر فيما دمر مدينة ستاجيرا موطن أرسطو الأصلى، ولذا فإن أرسطو قرر أن يستقر فى بلدة آسوس تحت رعاية أميرها



مدرسة أثينا التى تصور أرسطو يأخذ من أستاذه أفلاطون (فى وسط اللوحة وحولهم الفلاسفة والمفكرون مثل سقراط وابن رشد جالس وغيرهم - مدرسة أثينا (١٥١٠م - ١٥١١م) للفنان رفائيل سانزيو

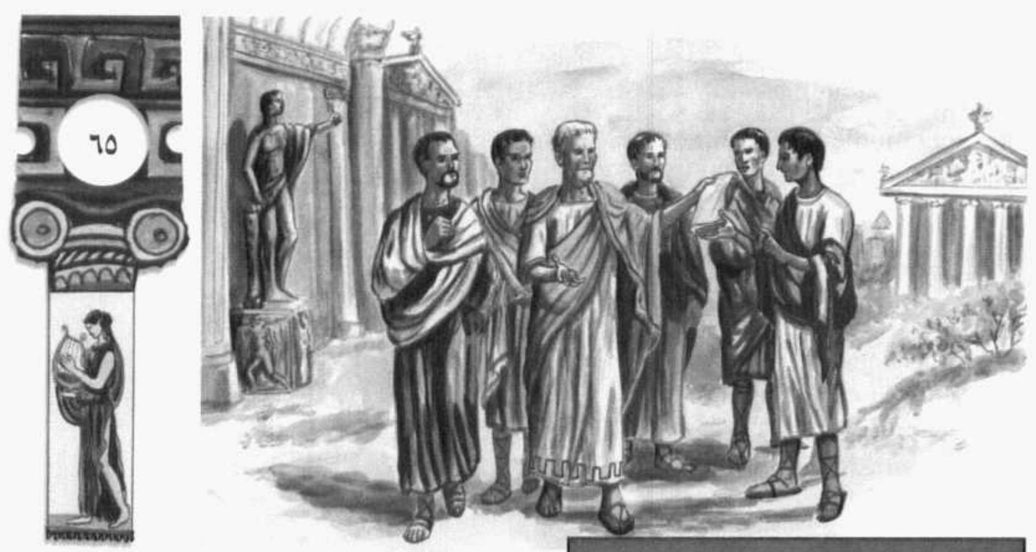


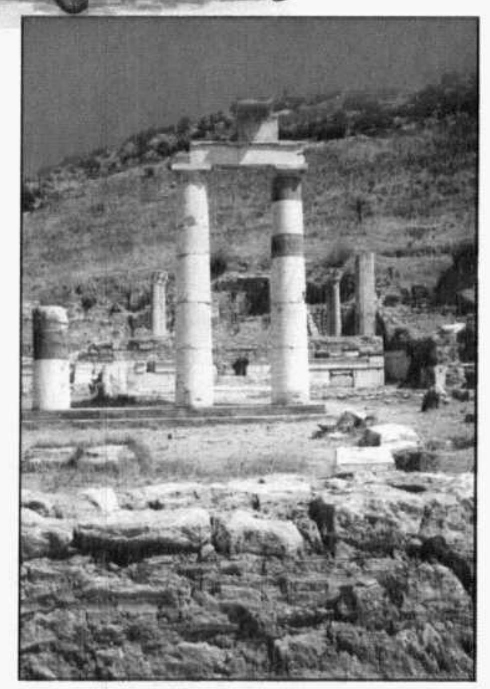
هرمياس الذى كان محبا للفنون والآداب. وفى آسوس تجمعت كوكبة من الفلاسفة، وأمضى أرسطو هنالك ثلاث سنوات يحاضر ويكتب. وفى سنة ٣٤٢ ق م أرسل الملك المقدونى فيليب يستدعى أرسطو ليتولى تربية ابنه الإسكندر، وقبل أرسطو الدعوة. وكان أرسطو قد تزوج فى آسوس من ابنة أخت أميرها هرمياس. وقد كان هرمياس هذا حتى ذلك الحين على علاقات طيبة مع ملوك فارس، ولكنه أخذ يتباعد عن الفرس ويتقرب إلى سيد مقدونيا واليونان الجديد فيليب المقدونى؛ ولذا فإن الملك الفارسى استدعى هرمياس إلى العاصمة الفارسية سوسة، وهناك قام بصلبه. وقد حزن أرسطو على الأمير ونعاه بقصيدة بكائية.

وبعد وفاة فيليب المقدونى (٣٣٦ ق م) خلفه ابنه الإسكندر تلميذ أرسطو، وقد تزود الملك المقدونى الشاب بزاد من الفلسفة والفكر والأدب لم يتح لغيره فى زمانه من الأمراء أن يحصله، فقد تعلم عن أرسطو الحكمة والنظرة العالمية للكون، وأن الدنيا تتسع للهلينيين وغير الهلينيين.

عندما خرج الإسكندر بجيوشه لغزو آسيا، رجع أرسطو إلى آثينا، وفيها افتتح مدرسة أو أكاديمية للفلسفة هى التى عرفت باسم مدرسة «المشائين» (Peripatetics)، وذلك من حقيقة أن أرسطو وهو يحاضر تلاميذه كان يقطع مكان المحاضرة جيئة وذهابا ماشيا على قدميه بين تلاميذه. ولما كان موقع الأكاديمية بستانا صغيرا مخصصا للإله أبوللو ليسوس، فقد عرف المكان باسم «الليسيه» (Lyceum). وقد جمع أرسطو العديد من المخطوطات واللفائف وأنشأ للأكاديمية مكتبة عامرة، كما أقام فيها متحفا يقال إن تلميذه الإسكندر قد زوده بعينات من غرائب الطبيعة أثناء فتوحاته فى بلاد الشرق. وقد ظل أرسطو على صلة طيبة بنائب الإسكندر فى مقدونيا (Antipater)، ولما أن توفى الإسكندر سنة ٣٢٣ ق م فى مدينة بابل، هبت ثورة فى آثينا للتحرر من قبضة ملوك مقدونيا. وهنا اضطر أرسطو إلى مغادرة آثينا ليستقر فى بلدة خالكيس (Chalcis) وفيها توفى بعد وفاة الإسكندر بعام وحد.

ترك أرسطو للعالم ثروة من الحكمة والعلم بلغت ٤٠٠ كتابا، وبها استحق بجدارة لقب «المعلم الأول»، غير أنه لم يتبق من هذا الكنز العلمى إلا القليل، من ذلك:





مدينة إبيسوس الإغريقية (فى تركيا حاليا)

١ ـ كتـاب **المنطق** (Organon) فى ستة أجزاء.

٢ ـ **كتاب الميتافيزيقا**، وعنوانه الأصلى «مقدمات فلسفية»، ولكن المحققين لأعمال أرسطو وضعوا هذا المؤلف فى تبويبهم الجديد «بعد» (Meta) كتاب أرسطو فى الفيزياء، ومن هنا جاءت كلمة «ميتا ـ فيزيقا». ويتناول هذا الكتاب بحوثا عن جوهر الكون، والمادة الأولى التى لا وجود لها إلا فى التصور العقلى، وعن العقل الأول المجرد الأبدى المدرك لكل شيء.



أثينا وجبل الأولمب ـ والأكربول (مدينة الفلاسفة)



٣ ـ **كتاب الفيزياء**؛ وعلم الحياة؛ وعلم النفس؛ والتوالد والفناء؛ والفلك؛ والحيوان؛ وتفسير الأحلام: (Physica - De anima - De generationte et Corruptione - Meteorologica - Historia animalium...).

٤ ـ **كتاب الأخلاق والسياسة**، وفيه بحوث عن الفضيلة والخير، فهما معا درب السعادة والغبطة الروحية (Eudamonia). وعنوان الكتاب هو: "Nicomachean and Eudemian Ethics".

٥ ـ **كتاب عن فن الخطابة والشعر**، بما فى ذلك قضايا البنية والأسلوبية والحبكة وعناصر تشويق السامع أو القارئ وصنوف الحجة وسبل الإقناع.

١٢ - أنطيوخوس:

سلالة أنطيوخوس من أولهم إلى سابعهم هم من سلالة السلوقيين أبناء سلوقوس الأول أحد جنرالات الإسكندر الأكبر، والذى ورث مناطق آسيا فى أعقاب وفاة الإسكندر سنة ٣٢٣ ق م. وكان سلوقوس يسيطر على مدينة بابل وما حولها، ثم توسع ليضم لملكه أجزاء من بلاد الشام وآسيا الصغرى. وقد دخل فى صراع ضد ملك مقدونيا أنتيجونوس الثانى ودارت بينهما معركة فى إبسوس سنة ٣٠١ ق م انتصر فيها سلوقوس، فصارت إليه اليد العليا على حطام إمبراطورية الإسكندر فى آسيا. على أنه فى واحدة من حملاته على إقليم تراقيا، اغتيل على يد بطليموس خيراونوس بن بطليموس الأول عدو سلوقوس الألد فى الإسكندرية.

وخلفاء سلوقوس هم: أنطيوخوس الأول (٢٨١ ـ ٢٦١ ق م)؛ أنطيوخوس الثانى (٢٦١ - ٢٤٧ق م)؛ سلوقوس الثانى (٢٤٧ ـ٢٢٦ ق م)؛ أنطيوخوس الثالث (٢٢٣ ـ ١٨٧ ق م) وهو الذى هجم على البطالمة فى مصر ولكنه دحر فى موقعة رفح سنة ٢١٧ ق م بفضل الجند المصريين الذين ألحقوا بجيش البطالمة من مقدونيين ومرتزقة. وبعد هزيمة أنطيوخوس الثالث انصرف عن مشروعاته ضد مصر ووطد أقدامه فى فينيقيا وفلسطين، ثم زحف على وسط آسيا وشرقها وصولا إلى نهر السند (ما بين ٢٠٩ ـ ٢٠٤ ق م). وفى سنة ١٩٢ ق م قام بغزو بلاد اليونان، ولكن الرومان تصدوا له وطردوه منها فى العام التالى، ثم أوقعوا به هزيمة نكراء فى آسيا الصغرى سنة ١٩٠ ق م.

أما أنطيوخوس الرابع (١٧٥ ـ ١٦٤ ق م) فقد شن حملة ضد مصر، ولكن الرومان أرسلوا إليه قائدا طرده منها. وقد فكر أنطيوخوس الرابع فى إلغاء الديانة اليهودية، فقامت ضد ثورة

عـرفت باسم ثورة المكابيين. وبعـد عهـده تدهورت أحـوال السلوقيين بسـبب هجمـات البارثيين عليـهم، وانتهى عـهدهم وسلطانهم فى حكم أنطيـوخوس السابع سنة ١٢٩ ق م. وأخيرا جاء القائد الرومانى بومبى وضم قيليقيا وسوريا إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية. والسلوقيون هم الذين صبغوا آسيا الصغرى بالصبغة والحضارة الهلينية.

١٣ - يوليوس قيصر (١٠٢ - ٤٤ ق م):

تحدر يوليوس قيصر من أسـرة تنتسب إلى ملوك روما القدامى، وكانت عمته چـوليا قد تزوجت من الزعيم الرومانى ماريوس، أمـا هو فقد تزوج من كورنيليـا ابنة الزعيم سنا (Cinna) الذى وقع فى خصـومة دامية ضـد الزعيم المستبد سوللا. وكان سوللا فى بداية الأمر يعطف على قيصر فنصحه أن يطلق كورنيليـا، ولكن قيـصر رفض ذلك وهرب من وجـه سوللا إلى بلاد الشرق حـيث درس الخطابة والنحو. وفى رحلاته تلك وقع ذات مرة فى أيدى نفر من قراصنة البحر قرب جزيرة رودس. وقد أبدى قيصـر رباطة جأش أذهلت مخـتطفيه من القراصنة عندمـا صاح فيهم بأنه سـوف يأتى اليوم الذى يقوم فيه بصلبهم جميعا على قرصنتهم. ونجح قيصر فى الهروب من قبضة مختطفيه، وجمع نفرا من صحبه وهجم على القراصنة وقبض عليهم ثم قام بصلبهم بالفعل!

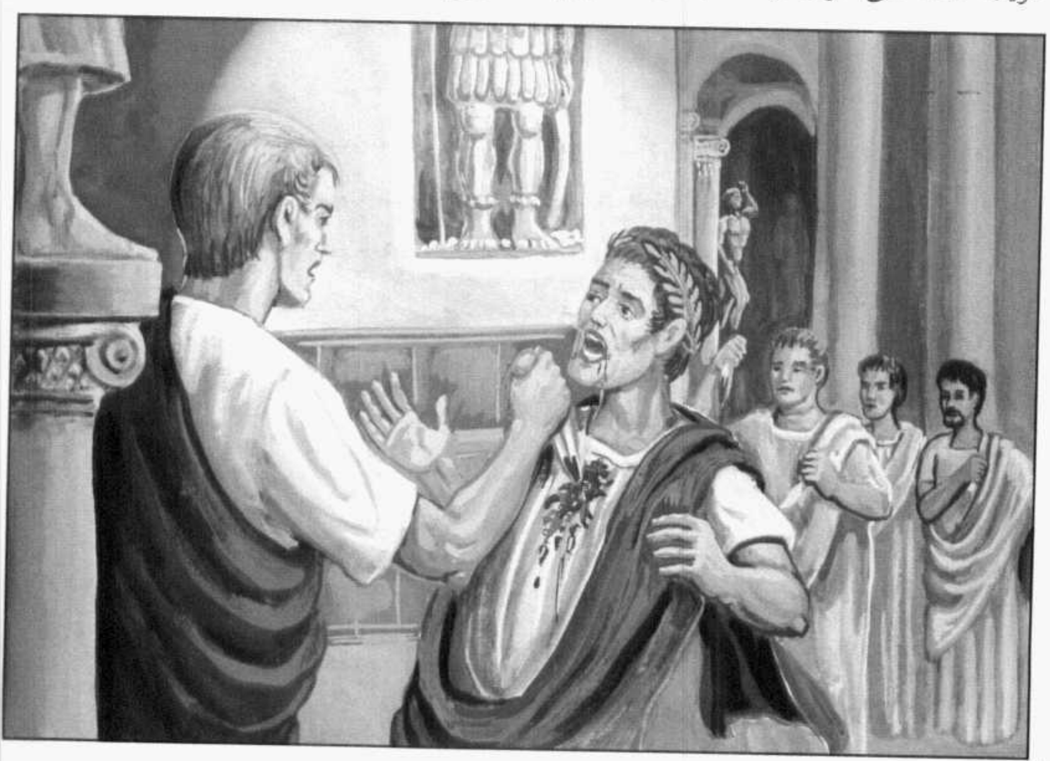
ولما أن علا نجمه فى مسـرح الأحداث فى روما وكل إليه قيادة حملات علـى آسيا الصغرى (٨٣ ـ ٨١ ق م)، وبعـد انتصـاراته فى آسيـا الصغـرى عـاد إلى روما ليـدخل فى حلبة الصـراع السياسى ووقف يتصدى لسياسات سوللا نفسه. ومع ذلك حظى ببعض المناصب الهامة فى أسبانيا حتى اخـتير سنة ٦٢ ق م ليـصبح «الكاهن الأكـبر» (Pontifex Maxinus) وهو منصب خطير. وفى سنة ٦٠ ق م عقد حلفـا مع بومبى وكراسوس ضد سـوللا، وفى سنة ٥٩ ق م عين قنصلا. ثم زوج قيصر ابنته چوليا إلى حليفه بومبى، ولكنهـا ما لبثت أن توفيت بعد ذلك بخمسة أعوام. على أن علاقـاته مع بومبى أخذت فى الفتـور خاصة بعد وفـاة چوليا، ولأن قيصر قـد أصر على الاحتفاظ بمنصـبه القنصلى رغم رفض السيناتو لذلك. فما كـان منه إلا أن زحف على رأس فيلقه الثالث عشر على مدينة روما، فبدأت بذلك الحرب الأهلية الأولى.

اضطر بومبى أمام زحف قيـصر إلى الفرار من إيطاليا، وبذلك أصبح يوليوس قيـصر سيدا مطلقا على روما والرومـان. ثم اشتعلت الحرب بين مـعسكر قيصر ومـعسكر بومبى سنة ٤٨ ق م قرب أبيـروس فى بلاد اليونان، وانتهى الصـراع بهزيمة بومبى فى مـعركة فرسـالوس ثم فراره إلى

مـصر حـيث قتل، ثم أبحـر قيـصر إلى مـدينة الإسكندرية ليـقـف إلى جـوار كليـوبتـرة فى صراعهـا مع أخويها بطليموس الثـالث عشر والرابع عـشـر. وأشـعل قـيـصـر النار فى الأسطول البطـلمى، فـأتت ألسنـة النار على كنوز مكتبـة الإسكندرية. وبعدها وقع القيـصر العـجـوز (٥٤ عـامـا) فى غـرام الملكة الشـابة كليوبتـرة (٢٠ عاما فقـط) فتزوجهـا وأنجبت له طفلا وهو قيصرون (انظر ما سبق).

وبعد هذه الرحلة الميمونة إلى أرض الأحـلام قاد قيصر حملة على بلاد الشام ثم منها إلى آسيا الصغرى حيث أوقع الهزيمة بالأمير فارناكس فى واقعة زيلا (٤٧ ق م)، ومن هناك أرسل إلى مـجلس الشيوخ الرومـانى برسالته الشـهيـرة فى كلمات ثلاث هى: Veni, Vidi, Vici أى وصلتُ فعاينتُ فانتصرتُ.

لعبت هذه الانتصارات المتتالية وزواجه من كليـوبترة برأس القيصر الرومانى فراح يتطلع إلى تتويجه ملكا على طراز الإسكندر. وكان طبيعيا أن ينزعج أنصـار التقاليد الجمهورية من طموحات



قيصـر ونزواته، وراح الجمهوريون الغيـورون على التقاليد الرومانيـة يعارضون سيـاسات قيـصر تلك، وعلى رأس هؤلاء كان كـاتو والخطيب شيشـيرون ثم بروتوس. وقد انقلب قيصر أولا على فريق كاتو وأذلهم سنة ٤٦ ق م، وانتحر كاتو حزنا على «وفـاة» الجمهورية. ثم هجم قيصـر بعد ذلك على أبناء بومبى فى أسبـانيا وهزمهم فى مـعركة مـوندا سنة ٤٥ ق م. وفى الخامس عـشر من شـهر مـارس لسنة ٤٤ ق م تم اغتـيال قـيـصر بيـد صديقـه بروتوس ومعـه كاسيوس، وفى هذه اللحظة صرخ قيصـر صرخته التى ذهبت مثلا: حتى أنت يا بروتوس!» (Quoque Brute!).

ترك قيـصر عدة مـؤلفات عن حروبه فى كل من غـالة (فرنسا الحـالية) وبريطانيـا، وله أيضـا كتـابات أخـرى عـن قـواعد النحـو (De Analogia)؛ وعن الفلك والنجوم (De Astris) إلى جانب ردوده على حزب كاتو ورثائية شيشيرون لكاتو بعد انتحاره (Anti - Catones). وقد ترك لنا كل من بلوتارخ وسـيوتونيوس سيـرة ضافية عـن حياة قيصر، الذى توارث الأباطرة من بعده لقبه فصاروا جميعا «قياصرة».

١٤ - مارك أنطونيو (٨٢ - ٣٠ ق م):

هو حفيد مارك أنطونى الكبير الذى اشتهر ببراعته فى الخطابة، وهى موهبة ورثها عنه مارك الحفيد وزاد عليها. وقد تدرج مارك فى الخدمة العـسكرية فى مختلف الفيالق الرومانية، فخدم فى فصـائل القائد جابينوس فى بلاد الشـرق، كما خـدم مع يوليوس قيصـر فى حرب الغال (فـرنسا الحالية). وفى سنة ٤٩ ق م عـين مارك «تربيونا» Tribune، وراح يزداد قربا من يوليوس قـيصر حتى إنه انضم إليه عند زحفه على روما؛ كما شارك فى الحـرب ضد بومبى غريم قيصر فى معركة فرسالوس. واعتـرافا من قيصر بشأن هذا الفتى المفـوه الشجاع فقد جعله مسـئولا عن إدارة شئون بيت قيصـر، ثم قنصلا. ولما أن اغتال بروتوس وصحبـه يوليوس قيصر فى قلب مـجلس الشيوخ أطل مارك أنطـونى على جماهيـر الشعب الرومـانى من شرفـة السناتو وألقى عليهم خطـبة نارية جعلتهم يصرخون بالقصاص من القتلة الآثمين الذين لطخوا أيديهم بدماء ابن روما المدلل يوليوس قيصر.

هاج الشعب الرومانـى فى روما بعد سماع خطبـة مارك أنطونى التى كشف فيـها عن غدر بروتوس بصديقـه قيصر، وعن وصـية قيصـر التى يترك فيهـا ثروته وأملاكه لعامـة روما. وغلت المشاعر وفر القتلة قبل أن تمزقـهم أظافر شعب روما. ثم ألف مارك أنطونى حلفا مع أوكتاڤيوس ولبيدوس سحقـوا به بروتوس وكاسيوس ومن سار معهم فى معـركة فليبى سنة ٤٢ ق م. وبعدها

اقتسم أنطونى وأوكتاڤيان حكم الإمبراطورية بعد أن تـخلصا من لبيدوس، وفى سنة ٤٠ ق م تزوج أنطونى من أوكتاڤيانا شقيقة أوكتاڤيوس وكانت زوجة أنطونى الأولى ڤلوڤيـا قـد توفيت فـى نفس العام. وسـافـر أنطونى بأسطوله ورجاله ليحكم قبضتـه على النصـف الشـرقى للإمبراطـورية، فيلتقى بكليوبتـرة فى ڤيليقـيا سنة ٤١ ق م، وينبهر أنطونـى بسحر كليوبتـرة ويعدها بالزواج والحلف المقدس. وبعد عـدة حملات فى آسيا الصغرى وأرمـينيا يرسو أنطونى فى الإسكندرية حيث كانت كليوبترة تنتظره على جمر من النار (٣٤ ق م). ويتـزوج العاشقـان ويغرق أنطـونى فى مواكب العـيد وأعـياد الكرنڤال السكندرية. وتنجب له كليوبترة طفلا وراء الآخر حتى بلغ المواليد ثلاثة. وراح أنطونى يهب إمارات وإقطاعات لأطفاله الثلاثة وأيضا لـقيصرون ابن قيصر من كليوبترة. وفى سنة ٣٢ ق م أرسل إلى أوكتاڤيانا بوثيقة طلاقها فجن جنونها، وأشفق شقيقها أوكتاڤيان على حالها التعيس. أعد أوكتاڤيان العدة لمعاقبة صديقه القديم أنطونى وللخلاص من «أفعى» الإسكندرية وحيلـها مع خيرة أبناء روما. وتقع واقعة أكتـيوم البحرية على شطآن اليونان بين أسطول كليـوبترة وحليفـها أنطونى فى مقابل أسطول أوكـتافيان الجـبار، وتدور الدائرة على أنطونى وصاحبـته، فتنسل بستين من سفن أسطولها مـبحرة إلى الإسكندرية، ويلحق بها أنطونى ذليـلا مهيض الجناح. ومع وصول جـحافل أوكـتاڤيـوس سنة ٣٠ ق م إلى شواطئ الإسكندرية، يكون أنطونى قد انتحر ثم تتبعه كليوبترة انتحارا بسم الأفعى.

١٥ - كليوبترة السابعة (٦٨ - ٣٠ ق م):

الاسم كليوبتـرة اسم قديم فى التراث الـهلينى، نجده فى أشعـار هومر وغيـره من الكتاب اللاحقين، كما أن زوجة الملك المقدونى فيليب الثانى كانت تدعى كليوبترة. وكليوبترة السابعة هى ابنة بطليموس الحـادى عشر أوليتيس الذى توفى سنة ٥١ ق م، تاركـا عرش الإسكندرية من بعده لكليوبترة هذه مناصفة مع أخـيها بطليموس الثانى عشر. ولقد ذاع صيت كليوبتـرة وسحر جمالها وعمق ثقافتها فى شتى أركان حوض البحر المتوسط، فسعى إليها يوليوس قيصر ووقف إلى جانبها فى صراعها ضد أخيها وأعوانه سنة ٤٨ ق م. وبعد أن دمر قيصر الأسطول البطلمى وأحرق بذلك مكتـبة الإسكندرية تزوج من كـليوبتـرة التى أنجبت له طـفلا هو قـيصـر، الذى سخـر منه أهل الإسكندرية فصغروا اسـمه إلى قيصرون. وفى سنة ٤٦ ق م سافرت كليوبتـرة وابنها قيصرون إلى مدينة روما حيث أقام لها قيصر تمثالا من الذهب فى معبد ڤينوس، وظلت فى روما حتى اغتيال قيصـر سنة٤٤ق م فى قلب مجلس الشيوخ الرومـانى، فقفلت كليوبترة راجـعة إلى الإسكندرية.



وعندما وصل مارك أنطونى حاكما على النصف الشرقى للإمبراطورية الرومانية التـقى بكليوبتـرة ثم تزوجـها وأنجبت له ثلاثة أطفال. ثم جـاء أوكتـاڤيان أغسطس بأسطوله ليقلم أظافر صديقه القديم مارك أنطونى، وأوقع به وبعشيقته البطلميـة هزيمة بحرية فى أكتـيوم سنة ٣١ ق م. وبعد أن انتحـر مارك أنطونى انتحـرت كليوبتـرة بسم الأفعى (الكوبرا) خـوفا من بطش أوكتاڤيـان وعار الأسر. وكـانت كليوبترة تطلـق على نفسهـا اسم إيزيس الجديدة، كمـا كانت تتزين على طريقتهـا وتزين رأسها بتاجها أيضا، كما أحـاطت نفسها فى بلاط الإسكندرية بكوكبة من الـكهنة والحكماء المصريين، وكانت تجيـد اللغة المصرية القديمة.

وقد عمل الرومان لهـا ألف حساب، واعتقدوا أنهـا تخطط لاستخدام جمالهـا فى تسخير قياصرة روما لتحقيق حلمها فى إعادة مجد الإسكندر الأكبر ذى القرنين!

١٦ - أغسطس (٦٣ق م - ١٤ م):

هو جايوس أوكتاڤيوس حفيد چوليا أخت يوليوس قيصر، وكان شابا واعدا فتبناه يوليوس قيصر وأعطاه اسمه أيضا فصار يعرف باسم يوليوس قيصر أوكتاڤيوس. وبعد الحرب الأهلية بينه وبين حليفه القديم مارك أنطونى (راجـع ما سبق) خرج أوكتاڤيوس منتصرا، فانفرد بالحكم سنة ٣٠ ق م وأرسى قواعد الإمـبراطورية الرومانية التى صار هو سيـدها ومواطنها الأول (Princeps) دون منازع. كما حصل أوكتاڤيان من مجلس السيناتو على لقب أغسطس أى «المهيب» سنة ٢٧ ق م، وصار هذا اللقب شرفـا يزدان به الأباطرة الرومان من بعده، كما تلقـبت به بعض الأميرات فى الأسر الحاكمة (أوغسطالا، أغسطا).

وكان أغـسطس يبشـر فى عصـره بأنه حامى «السـلام الرومانى» (Pax Romana) وسلام الآلهة (Pax Deorum). وقد كان ولعـا بالآداب والفنون، وترك لنا سيرة حيـاته فى ثلاثة عشرة جزءا، وهو صاحب الكناية الساخرة التى ذهبت مـثلا وتقول: «سوف أوفى لك دينَكَ عندى وفقا للتقويم اليونانى»، أى أنه لن يوفى الدين أبدا! وقد ظهـر فى عصره الكثير من النوابغ الرومان من أمثال ڤرچيل، وهوراس، وتريبللوس، وبروبزيتوس، وأوڤيد، ولڤى. كما انتعـشت فى عهده الفنون التشكيلية، ومن روائـع العصر: مذبح السلام الرخامى، ومـيادين السوق، ومعبد قـيصر،




كليوبترة السابعة فى هيئة إيزيس

ومعابد چوليا وإميليا، ومنصة الخطباء (Rostrum)، هذا إلى جانب العديد من المسارح والحمامات العامة والمتنزهات والبحيرات الصناعية والمكتبات. ونظرا لاستخدام الرخام بكثرة فى عهده، فإن كاتب سيرته سيوتونيوس يقرر أن أغسطس قد تسلم روما وهى بالقرميد ثم تركها وهى من الرخام.

وقد عمل أغسطس على استتباب الأمن فى البلاد وفى العاصمة بوجه خاص، فأنشأ قوة بوليسية قوامها ٣,٠٠٠ رجل للحراسة إلى جانب ٧,٠٠٠ آخرين للخفر، كما عين موظفين للإشراف على توفير المياه للمواطنين، وآخرين لمعالجة أخطار فيضانات نهر التيبر، وغيرهم لمسائل التموين والأسواق. ويعد عصر أغسطس العصر الذهبى للإمبراطورية الرومانية.

١٧ - بلوتارخ (٦٤ - ١٢٠ ق م):

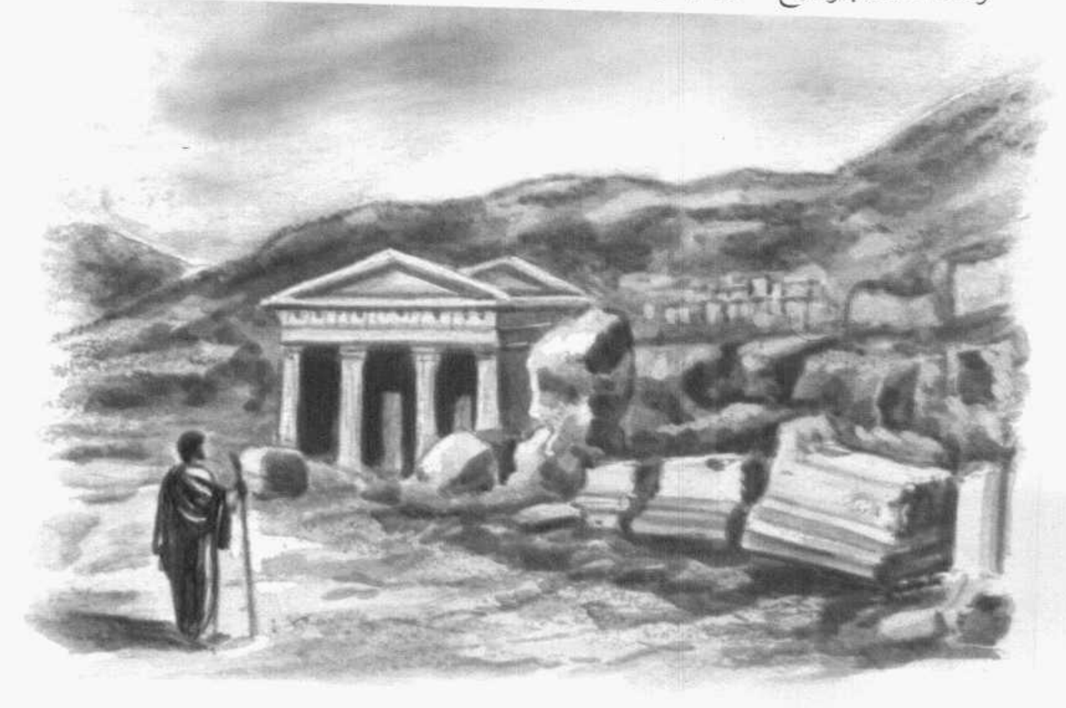
من أعلام المؤرخين اليونان والفلاسفة الأخلاقيين. ولد فى بلدة خيرونيا فى منطقة بووشيا، وهى أرض المعركة التى سحق فيها الملك فيليب المقدونى وابنه الإسكندر جيوش آثينا وطيبة بالحديد والنار سنة ٣٣٨ ق م، وبذلك انتهى عصر الديمقراطية

الهلينية. وقد قام بلوتارخ بزيارة مدينة روما مرتين حيث كان يحاضر النخبة الرومانية فى قضايا الأخلاق. كذلك زار بلوتارخ مدينة الإسكندرية والتقى بعلمائها وفلاسفتها، وهو أيضا الذى سجل لنا تاريخا مفصلا عن حياة الإسكندر الأكبر. كذلك انتخب بلوتارخ عضوا فى كلية كهنة معبد دلفى للوحى، ومن أهم أعمال بلوتارخ:

١ ـ **كتاب الأخلاق** بعنوان "Syngrammata Ethika" أو "Moralia"، وهو يقع فى ثلاثة وثمانين جزءا حول قضايا السلوكيات، وما ينبغى على المتزوجين أن يراعوه فى العلاقات الزوجية من خلق وأخذ وعطاء، ويحوى الكتاب أيضا فصولا عن النفاق والمنافقين وسبل كشف أقنعتهم الزائفة، إلى جانب فصل آخر عن التطفل والمتطفلين، وعن كيفية كبح جماح النفس الغاضبة، وعن الشعوذة والخزعبلات، وعن العدالة الإلهية، وعن المعابد ونقوشها ودلالات الحروف المنقوشة على المعابد، وعن وحى الآلهة، وعن الشياطين، وعن وجه القمر وسطحه، وعن فن الخطابة، ثم عن عظمة المؤرخ هيرودوت.

٢ ـ كتاب «**سير الحياة**»، ويتناول المشاهير اليونان والرومان مع عقد مقارنة بين الجانبين فى التماثل والاختلاف.

وتعد أعمال بلوتارخ التاريخية والأخلاقية ثروة هائلة من التراث اليونانى القديم.



١٨ - الملكة زنوبيا:

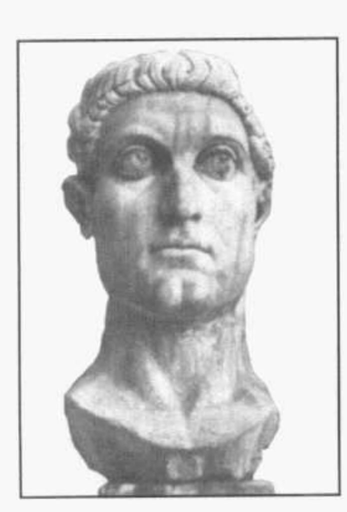
قامت فى بالميرا (تدمر) شمال شرقى دمشق مملكة عربية قوية على يد الملك أذينة، الذى وسع ملكه فصار سيدا على كل بلاد الشام. واضطر الإمبراطور الرومانى جالينوس (٢٦٠ ـ ٢٦٨م) إلى الاعتراف به إمبراطورا شريكا على الشرق. ولكن أذينة ما لبث أن اغتيل سنة ٢٦٦م، فخلفته على العرش زوجته القوية زنوبيا مع ابنها وهب اللات. وقد كانت زنوبيا ذات بأس شديد، إذ سيطرت على آسيا الصغرى ومناطق الفرات. وفى سنة ٢٦٨م قامت بحملة على مصر واستولت على إقليم الدلتا، وقد سكت عملة فى الإسكندرية تحمل اسمها واسم ابنها وهب اللات. ويروى أنها كتبت كتابا عن تاريخ مصر، وبأنها زعمت بأنها تنحدر من سلالة كليوبترة السابعة آخر ملوك البطالمة فى مصر.

تمثال على لوحة جنائزية يُظن أنه للملكة زنوبيا – تدمر

وفى عهد الإمبراطور الرومانى أورليانوس الثانى (٢٧٠ ـ ٢٧٥م)، قام القائد الرومانى بروبوس بحملة ضد زنوبيا، وأوقع بها الهزيمة وأسرها هى وابنها أيضا.

غير أن زنوبيا آثرت الانتحار على أن تكون من سبايا الرومان، تماما كما فعلت من قبل كليوبترة السابعة!

١٩ - قسطنطين الكبير (٢٧٤ - ٣٣٧ م):



هو فلاڤيوس ڤالريوس قسطنطينوس أغسطس ابن قسطانطيوس من زوجته هيلانة، وقد ولد قسطنطين فى بلدة نيش فى إقليم إلليريا (البلقان) وتدرج فى سلك الخدمة العسكرية. وعند وفاة والده الذى كان شريكا فى الحكم الرباعى مع الإمبراطور دقلديانوس ـ كان قسطنطين على رأس فرقة رومانية فى بريطانيا، فرفعه جنده على دروعهم وهتفوا به قيصرا وذلك فى مدينة يورك (Eburacum) سنة ٣٠٦م. وكان الإمبراطور دقلديانوس مؤسس الحكومة الرباعية قد اعتزل الحكم قبل ذلك بعام تاركا الأمر لحليفه جالريوس، مما أدى إلى حرب أهلية

يتصارع فيها القياصرة للانفراد بالحكم. وقد تحالف قسطنطين مع ليكنيوس لكى يقضى على خصمه ماكسنتيوس، وتم لهما ذلك فى موقعة القنطرة الملقية قرب مدينة ميلان. ومن مدينة ميلان أصدر قسطنطين وحليفه ليكنيوس ما يعرف فى التاريخ باسم «مرسوم ميلان» سنة ٣١٣م، وهو رسالة موجهة إلى حاكم نيقوميديا فى آسيا الصغرى تأمره بإيقاف حملات الاضطهاد ضد أتباع الديانة المسيحية ليتعايشوا جنبا إلى جنب مع أتباع الوثنية. ثم انقلب قسطنطين على حليفه ليكنيوس وقضى عليه سنة ٣٢٤م ليصبح السيد الأوحد على الرومان.

وقد اختلف المؤرخون - كعادتهم - حول قسطنطين الكبير وسياساته فرفعه البعض إلى مصاف قيصر وأغسطس وحط منه البعض الآخر إلى أسفل السافلين!

والحق أن قسطنطين كان سياسيا داهية يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، فلقد كان عابدا للشمس التى لا تقهر Sol Invictus، ولكنه سرعان ما مال مع التيار الجديد وتعاطف مع المسيحية عندما ارتفع شأنها فى الولايات الإمبراطورية. وكان همه الأول والأخير أن يجمع فى جيوب عباءته الأرجوانية السلطتين الزمنية والدينية فهو القيصر والكاهن الأكبر جميعا (Cesaro - Papism).

وفى حين أن كاتب سيرته الأسقف يوساب من قيسارية فلسطين يصوره على أنه «الحوارى الثالث عشر»، فإن مصادر أخرى تلقى الضوء على الدم الذى لطخ به يديه ليس فقط ضد خصومه السياسيين، وإنما أيضا ضد أهل بيته: وكان قسطنطين قد تزوج من سيدة اسمها منرفينا التى أنجبت له ابنا هو كرسبوس؛ ثم تزوج قسطنطين مرة ثانية من فاوستا ابنة حليفه ماكسميان التى أنجبت له ثلاثة أولاد وثلاث بنات.

وقد تلقى ابنه الأكبر كرسبوس من الزوجة الأولى تعليما راقيا على يد المعلم المرموق لاكتانتيوس، كما ساهم هذا الشاب المهذب الشجاع فى حروب والده فى غالة وعلى شطآن البحر الأسود، الأمر الذى أكسبه احترام الخاصة والعامة فى روما. على أن هذا التقدير المتزايد لشخص كرسبوس قد أوغر صدر زوجة أبيه فاوستا التى أخذت تكيد للابن عند أبيه قطرة فقطرة كالسم.



منحوتة على قوس نصر الإمبراطور قسطنطين الكبير

ومن سموم فاوستا أنها همست إلى قسطنطين بأن كرسبوس يراودها عن نفسها! وسرعان ما روجت فاوستا للغَط (همس) بأن كرسبوس ورفاقه يدبرون مؤامرة على حياة قسطنطين، وصدق قسطنطين تلك الإشاعة، فأقدم على حماقة بالغة السوء.

وفى احتفال عيد جلوسه أرسل قسطنطين حرسه لإحضار كرسبوس إلى مدينة روما، ثم بعث به خفية مع نفر من الجلادين إلى بلدة بولا فى مقاطعة أستريا حيث تم إعدامه! وتمر الأيام ويكتشف قسطنطين أن كرسبوس برىء من كل اتهامات فاوستا والواشين فى البلاط، فيصاب الرجل بعقدة ذنب قاسية الوجعة، فيعلن الحداد أربعين يوما ويمتنع عن الطعام والشراب وهو يبكى على ابنه البرىء فى مرارة بالغة. وقد أمر قسطنطين أن يقام لكرسبوس تمثال ذهبى نقش عليه عبارة تقول: «إلى ابنى الحبيب الذى أدنته بغير ذنب جناه».

وبعدها يكتشف قسطنطين أن زوجته فاوستا كانت على علاقة آثمة مع واحد من عبيد أسطبلات القصر، فيقبض عليها ويأمر بإعدامها خنقا ببخار الماء الملتهب. وهكذا فإن الوجه الآخر



بقايا معبد رومانى فى تدمر

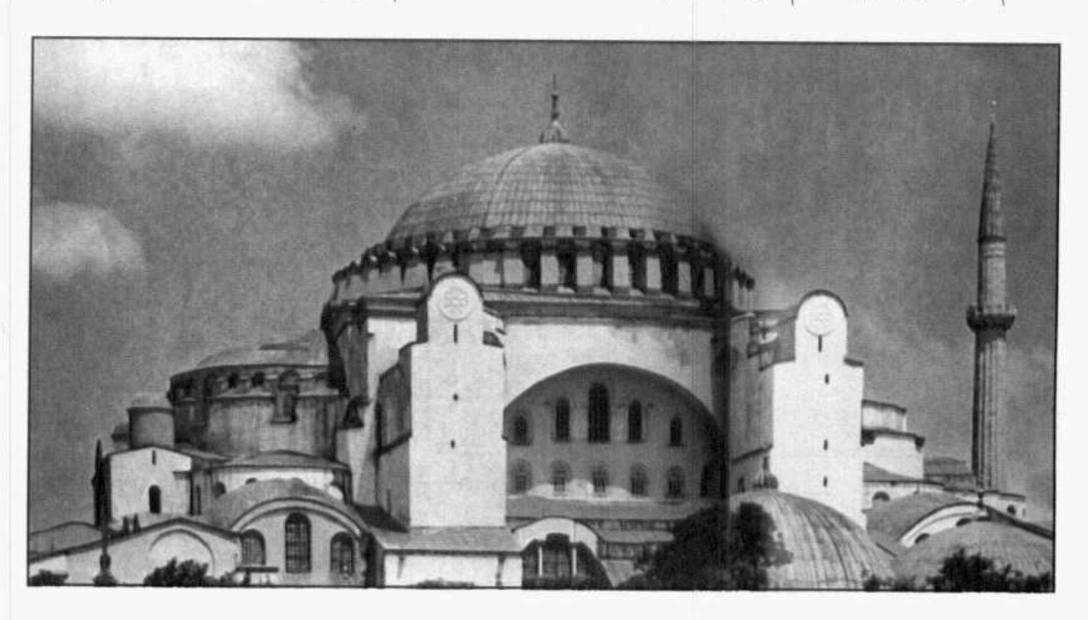


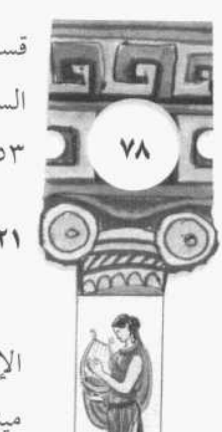
لحياة قسطنطين كان مليئا بالمآسى والمخازى، وانتقلت حمى الدم من الأب إلى بقية أبنائه فيما بعد فراحوا يتآمرون ـ وهم أشقاء ـ واحدهم ضد الآخر!، وكأن لعنة كرسبوس قد حلت عليهم الواحد تلو الآخر.

٢٠ - بيزنطة:

مدينة تقع على فم البسفور الأوربى فى تراقيا، وقد أسسها كمستعمرة يونانية جماعة من ميغارة تحت إمرة قائدهم بيزاس، ومنه جاء اسمها وذلك فى سنة ٦٥٧ ق م. وكان بيزاس قد استشار كهنة معبد دلفى لنصحه فى أمر مستعمرته المرتقبة، فأشار إليه الوحى بأن يقيم مدينته على ضفاف البسفور قبالة «مدينة العمى». والمقصود بمدينة العمى هنا هى مدينة خلقيدونية التى اختارها مؤسسوها دون أن تمتد بصيرتهم ليتبينوا القيمة الإستراتيجية والتجارية لموقع بيزنطة، التى سوف تربط أوربا بآسيا وتصبح زهرة المدائن لألف أو يزيد من السنين فى العصور الوسطى.

وفى القرن السادس ق م وقعت بيزنطة تحت سيطرة الفرس، ثم آل أمرها بعد ذلك إلى أسبرطة فآثينا تباعا. وفى سنة ٣٥٧ ق م ثار أهل بيزنطة ضد سيطرة آثينا وانفصلت عن العصبة الآثينية التى جمعت بها آثينا مدن اليونان تحت حلف واحد لمواجهة الخطر الفارسى. وقد ابتليت بيزنطة بجيران مشاكسين هم التراقيون والكلت. وأخيرا مع نماء قوة روما آلت بيزنطة إلى الإمبراطورية الرومانية، حتى اختارها الإمبراطور قسطنطين الكبير لتصبح عاصمة لإمبراطوريته سنة ٣٣٠م، وأطلق عليها اسم «روما الجديدة» (Nova Roma)، ثم عرفتها الأجيال التالية باسم مدينة





قسطنطين أو القسطنطينية. وقد عاشت بيزنطة ألف عام ويزيد حتى سقطت السقوط النهائى تحت ضربات مدافع السلطان العثمانى محمد الثانى الفاتح سنة ١٤٥٣م.

٢١ - أفلوطين:

ولد سنة ٢٠٥م فى مدينة ليكوبولس بصعيد مصر، ثم نزح إلى الإسكندرية حيث انكب على دراسة الفلسفة، وقيل أنه كان يعمل حمالا فى ميناء الإسكندرية لضمان نفقات تعليمه وكتبه. وقد سطع نجمه فى الدوائر العلمية فى الإسكندرية حتى صار من أعلام الفلسفة الأفلاطونية الجديدة (Neo Platonism). وقد زار أفلوطين مدينة روما سنة ٢٤٤م بعد أن رافق الإمبراطور الرومانى جورديان فى حملته ضد فارس، وهناك دخل أفلوطين فى حوار مع جماعة المجوس حول آرائهم.



لوحة الفيلسوف تصوير جدارى رومانى تعبر عن زهد وتأمل الفلاسفة الإغريق

واشتهر أفلوطين بالزهد الزائد فى أسلوب حياته حتى صار من مشاهير المتصوفة السكندريين، وهو الذى قال: «إننى أشعر بالعار من جسدى». وتدور فلسفته حول مجاهدة الروح للانعتاق من أغلال الجسد ومادية هذا العالم الفانى. والكون عنده طبقات أو درجات تتصعد من وحل المادة السفلى صعدا إلى أفلاك الروح، ومن فلك الروح إلى سماء العقل، ومن سماء العقل إلى السمو الربانى حيث الكل الخالص غير المحدود. والحقيقة عند أفلوطين تكمن فى عالم الروح عندما يتأملها المتوحد بملكة العقل، أما عالم الظواهر (Phenomena) من ملموس ومحسوس ومتناه فليس له وجود حقيقى؛ لأنه سراب عارض وإلى زوال. وفى الأخلاق يدعو أفلوطين إلى كبح النفس الشهوية وتطهيرها بالزهد والقناعة،



ولا يتأتى ذلك إلا بطريق الآلام ومكابدة الشرور وتجاوز الجسد لإعلاء شأن الروح. وقد جمع تلميذه بورفيرى كتاباته فى ستة كتب يحوى كل منها تسعة فصول، ومن هنا جاءت تسمية مؤلف أفلوطين «بالتساعيات» (Enneads).

٢٢ - هياتيا آخر المشائين فى الإسكندرية (٣٧٠ ـ ٤١٥م):

كانت هياتيا ابنة لعالم الرياضة السكندرى ثيون، وقد نهلت منابع الحكمة من أعلام الإسكندرية وتأثرت بتعاليم الأفلاطونية المحدثة وكتابات أفلوطين المصرى. وقد عاشت هباتيا فى عصر مضطرب، إذ كان الجالس على عرش القسطنطينية آنذاك صبى صغير هو ثيودوسيوس الثانى تحت وصاية يزدجرد ملك فارس. أما النصف الغربى للإمبراطورية الرومانية فقد سقط تحت أقدام آلارك سيد القوط الغربيين.

وفى الإسكندرية كانت الأمور فى أيدى حاكمها وبطريركها البيزنطى سيريل (Cyril)، الذى كانت لديه تعليمات فى القسطنطينية بأن يجهز على بقايا الوثنية فى جامعة الإسكندرية، ممثلة فى جماعة الفلاسفة وتلاميذهم، وعلى رأس القائمة كان ثيون وابنته هياتيا. وبالفعل قام البطريرك بتحريض رعاع الإسكندرية فهجموا على الرجل وقتلوه، ثم زحفوا على الابنة الفيلسوفة وجرجروها فى شوارع الإسكندرية حتى مزقوها إربا. فكانت هذه الحلقة الأخيرة فى القضاء على التراث القديم، والتى كان قد بدأها جد الإمبراطور الصبى وسميه وهو ثيودوسيوس الكبير الذى كان قد أمر بتحطيم معبد سيرابيس فى الإسكندرية سنة ٣٩٢م.

ومن محاضرات هباتيا لتلاميذها نسوق بعض الفقرات الرائعة:

«أيها الأبناء؛ وإنها لساعةٌ للوقوف مع الذات وكبح جماح الغضب. الخطيئة ـ كما تعلمنا من حكمة ابن الصعيد العظيم أفلوطين ـ مردها أن الناس قد مضوا شوطا بعيدا فى شرور هذا العالم المادى، فتاهوا وضلوا الطريق... أتعلمون ما الخير؟ الخير هو سلب الشر، الخير هو المبدأ الأول، فوق كل تعيين ووجود، والخير معنا ومن حولنا ولكن نفوسنا الآثمة لا تستوعبه! هيا معا نبحث عن الخير من جديد، كما كان المصريون القدامى يبحثون عن الحقيقة من فيض النور المنبثق من الكبير رع سيد الفراعين... كفانا عنادا وجشعا ومضاجعة لرذائل هذا العالم.. هيا نجاهد على أمل الاتحاد بالخير الأول الذى لا يُعاينه إلا من تجاوز الدرب الطويل.



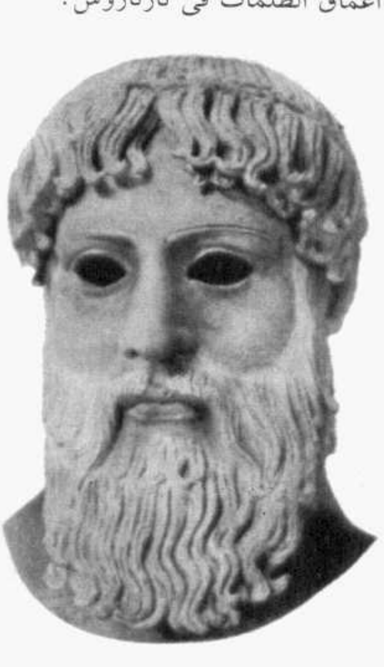
٢٣ - زيوس:

هو كـبـيـر أرباب اليـونان الأقـدمين، الذين يتجـمعـون عادة على قـمة جـبل الأولمب (فـى سلسلة الجبـال الشمـالية فى تسـاليا التى تحد بلاد اليونان).

وزيـوس ابـن الإلـه كـرونـوس ابن أورانوس. وتقول الروايات أن كرونوس قد تلقى تحذيرا علويا بأن واحدا من أبنائه سوف يتـمرد عليـه ويخلعه عن العـرش. وعليه فـإن كرونوس الأب راح يبتلع أولاده الواحـد بعد الآخر وقت مولدهم. وأصيبت زوجه «ريا» من هذا المسلك الـرهيب بفزع شديد، فلما أن أنجبت المولود زيوس، استعانت بجماعة المردة والعماليق وبنفر من الجبابرة أصحاب العين الواحدة المعروفين باسم (كيكلوبس)، وبالربة تيميس وابنها البطل بروميثيوس، لإخفاء ابنها زيوس عن عيون أبيه. ونجحت الخطة، وهب الجميع ضد كرونوس الطاغية، وسيق قسرا إلى أعماق الظلمات فى تارتاروس.

الإله رع

ولما أن شبَّ زيوس عن الطوق وتربع على العرش، قسم الكـون بينه وبين إخوته: فاحـتفظ لنفـسه بالسـماء، وأعطى البـحـر إلى بوسـيـديون، والـعـالم السـفلى إلى هيديس. ولكن زيوس سرعان ما انـقلب إلى طاغية جبار، فلقد مـال على جنس البشر وفكر فى إبادتهم ـ كمـا تقول الأسطورة ـ ولذا فقـد هبَّ ضده البطل بروميثـيوس وسرق منه شعلة النار وقدمها لبنى البشر.



وقد كانت لـزيوس رذائل عديدة: فقد كـان شهويا شـرسـا لا يشبع. والمعـروف أنه كـان قـد تزوج أولا من مـيـتـيس وأنجب منهـا أثينا؛ ثم من ديميـتـر وأنجب منهـا برسيـفونى؛ ثم من ليتو وأنجـب منها أبوللو وأرتميس؛ ثم

من هيرا وأنجب منها هيفايستوس ومارس، وهبى وإيليثيا؛ ثم من مايا وأنجب منها أطلس وهرمس، ثم من سيميلى وأنجب منها ديونسيوس، ثم من ديونى وأنجب منها أفروديت. أما زيجاته البشرية فكانت فى أغلبها اغتصابا، ومن ضحاياه: إمفتريون؛ دانا؛ يوربا؛ أنتيوبى؛ ليدا؛ ثم إيو!

٢٤ - أفروديت:

ربة الحب والجمال عند الإغريق، وتقابلها ڤينوس عند الرومان. وقيل أنها ابنة لزيوس من زوجته ديونى، كما يطالعنا هومر. أما هزيود فإنه يذهب إلى أنها ولدت من زبد الموج (Aphros) الذى تجمع حوله أشلاء من جسد أورانوس بعد أن مزقه ابنه كرونوس إربا إربا بسبب قسوته وجبروته. ويطلق على أفروديت ألقاب عدة؛ ومنها «القبرصية» و«الخارجة من قلب الماء» (Anadyomena)، وتحديدا من مياه بلدة بافوس فى جزيرة قبرص.

وقد تزوجت أفروديت من هيفايستوس سيد النار والحدادة، ولكن أفروديت لم تكن وفية لهذا الزواج، ثم حدث أن وقع فى غرامها آريس (مارس) إله الحرب، وأنجبا إيروس أو كيوبيد صاحب السهام الطائشة المعروفة. على أن علاقة أفروديت مع مارس قد اكتشفت، فألقى هيفايستوس الزوج المخدوع بواحدة من شباكه على الاثنين وهما فى لحظة غرام حرام، ثم ساقهما فى مذلة إلى مجمع الآلهة ليشهد الجميع تلكم الخيانة بأنفسهم.

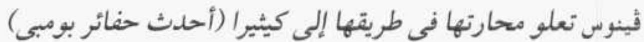

ڤينوس ميليو

وكان افتضاح الأمر على هذه الشاكلة سببا فى انزواء أفروديت بعد ذلك فى مسقط رأسها فى بلدة بافوس.

على أنها بعد فترة من العزلة والملل، أخذت تهيم فى بلاد القوقاز حتى ساقتها الأقدار إلى جبال فينيقيا. وهنا وقعت عيناها على فتى بديع فى وسامته وطلعته وهو أدونيس.

وأدونيس هذا كان أمره عجيبا كأمر أفروديت، فلقد تحولت أمه ميرا وهى حامل به إلى شجرة لبان المز (Myrrha). وعندما حانت لحظة الميلاد، تفتحت واحدة

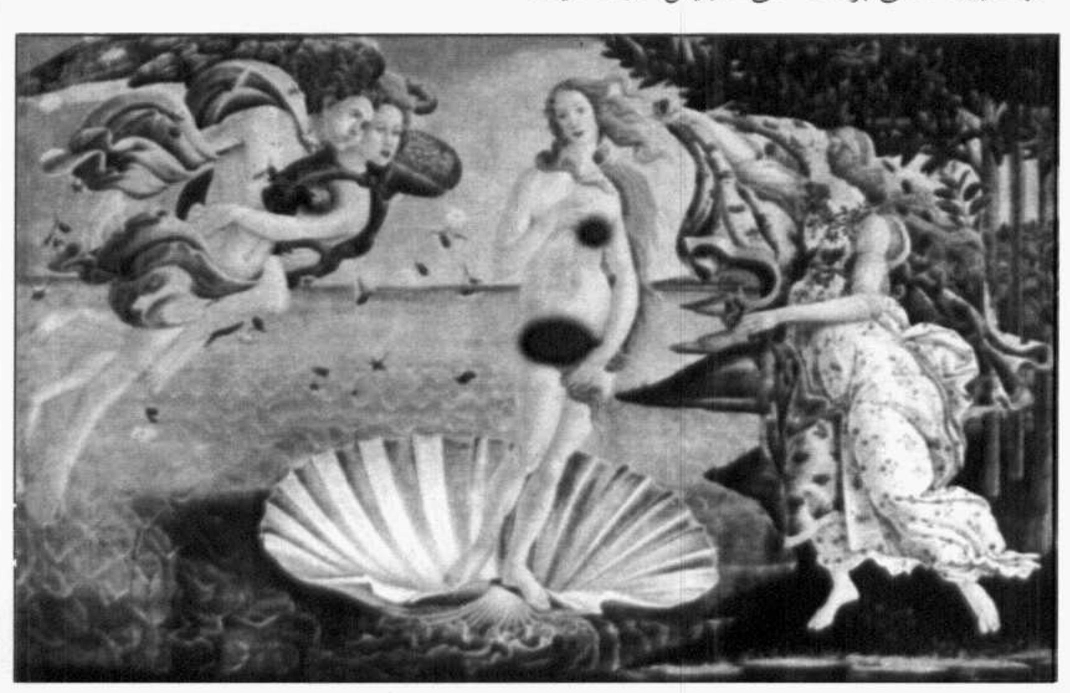




ڤينوس تعلو محارتها فى طريقها إلى كيثيرا (أحدث حفائر بومبى)

من براعم تلك الشجرة ليولد منها هذا الوليد العجيب. ومن شدة جمال أدونيس وحلاوته، أقبلت الحوريات من كل ركن ليقمن على تمريض الطفل وتدليله. وعندما شب أدونيس عن الطوق، أخذ يهيم على وجهه حتى ساقته الأقدار إلى جبال فينيقيا حيث التقطته أفروديت ووقعت فى غرامه تماما.

على أن مارس ـ سيد الحروب ـ شعر بالغضب والغيرة من هذا الفتى من أبناء الأرض الهالكين، فألقى برمحه على أدونيس فأرداه قتيلا.



لوحة (مولد ڤينوس) من زبد البحر للفنان بوتشيللى (١٤٨٥م)

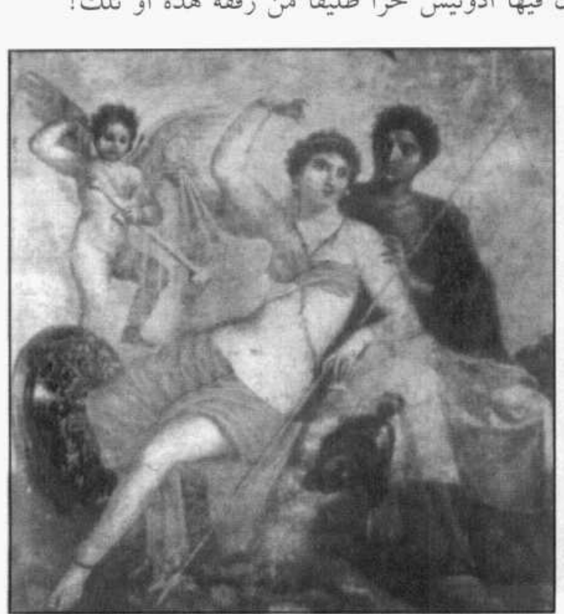
وبكت أفروديت على الفتى الذى اخترم فى عنفوان شبابه، تماما كما بكت الوفية إيزيس على أوزوريس الطيب. وبينما هى تندب حظها بالدمع الغزير، هبط شبح أدونيس إلى عالم الموتى السفلى (هيديس) تحت إمرة بلوتون الجبار ورهينته برسيفونى التى كان بلوتون قد اختطفها من أمها وهرب بها إلى العالم السفلى.

وهامت برسيفونى بالشبح الجميل حبا وجنونا، رغم زمجرة بلوتون وغضبه.

كل ذلك وأفروديت باقية فى موقعها على سطح الأرض تحمل القتيل على ذراعيها حتى أغرقت جسده بالدمع، وقد فعلت دموع أفروديت فعلها السحرى، إذ تحول الجسد الهامد إلى زهرة «الريح» البهية (Anemone). ولكن أفروديت راحت تتوسل إلى كبير الأرباب زيوس أن يرد لها أدونيس لحما ودما كذى قبل. وبعد لأى استجاب زيوس للدعاء، على أن يبقى أدونيس أربعة شهور كل عام فى العالم السفلى فى صحبة برسيفونى؛ وأربعة شهور أخرى فى صحبة أفروديت فى العالم العلوى، وأما الشهور الأربعة الباقية من العام يكون فيها أدونيس حرا طليقا من رفقة هذه أو تلك!



إينياس ـ مؤسس روما ـ يغادر طروادة بعد دمارها حاملا والده الكسيح الذى يحمل دوره تمثال ربة الأسرة لدى الإغريق. وراءهما يمشى طفل إينياس وهو يضىء طريق والده بشعلة ترمز إلى خلود تراث طروادة فى حضارة الرومان.



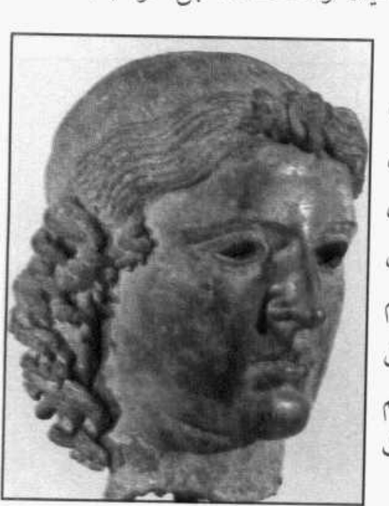
تصوير جدارى (مارس وڤينوس وإيروس) بومبى



ويرى الدارسون فى أفروديت أصولا أسطورية مستقاة من إيزيس المصرية ومن عشتار الآسيوية. وقد اتخذها الرومان أما أسطورية لبطلهم إينياس الذى أسس مدينة روما!

٢٥ - أبوللو:

هو ابن زيوس من زوجته ليتو (Leto)، وبطل فى الأساطير اليونانية ربا للقيثارة والضوء والشباب، وحافظا للرعيان والقطعان، بل هو أيضا ـ عند البعض ـ الشمس ذاتها!



رأس الإله أبوللو – من البرونز ٤٧٠: ٤٦٠ ق م – قبرص

ويذكر لأبوللو أنه هو الذى استولى على دلفى بعد أن قضى على التنين (Python) الذى كان يسيطر على دلفى، وينشر منها قوى الظلام ودهاليز العالم السفلى. على أن هذه الفعلة من جانب أبوللو أقامت عليه قوى العالم السفلى لجبروتها، وحُكم عليه أن يعيش طريدا، يطوف من صقع إلى آخر دون هوادة! ولقد اتخذه أهل الريف حاميا لهم وراعيا؛ فهو الذى يحمى حقولهم وحصادهم من خبث الفئران وأذاها (Sminthos).

ولأبوللو معابد عديدة: فى دلفى، وفى جزيرة ديلوس، وفى ديديما فى آسيا الصغرى، حيث يتخذه أتباعه رمزا للبطولة والخُلق الحسن الأحسن، وهو بعد هذا وذاك سيد النبوءات فى معبد دلفى، حيث يوحى لمن يقصده بالصواب، والتطهر والكفارة والتوبة والكف عن سفك الدماء وضغينة الانتقام. ولقد اقتبسه الرومان من اليونان، وجعلوه رب النبوءات، وجعلوا له كاهنة خاصة تشرف على معبده (Sibyl). كذلك اتخذه الإمبراطور أكتافيانوس أغسطس راعيا له، وشيَّد له معبدا فخما فى البلاتين (Palatine).



معبد أبوللو فى قورينة – ليبيا حاليا (القرن الثالث الميلادى)

٢٦ - ديونسيوس:

فى الأساطير اليونانية هو ابن لزيوس من زوجته سيميلى (Semele) ابنة ملك صور. ورغم أن زيوس كانت له عدة زوجات، إلا أنه هام أيضا بجمال تلك الأميرة من صور. ولكن زوجه هيرا ـ التى كانت أشد زوجاته غيرة عليه ـ قد لجأت إلى حيلة ماكرة، إذ توسلت إلى زيوس أن يقوم بزيارة الأميرة سيميلى وهو فى كامل أبهته ككبير لأرباب الأولمب. والمعروف أن زيوس كان سيد البرق والرعد والصواعق والوهج القاتل، فلما أن هلَّ على سيميلى بكامل وهجه، تبخرت الأميرة سيميلى من فعل الوهج أو ذابت تماما وتحولت إلى رماد.

على أن زيوس أنقذ الجنين من بطنها من فعل الوهج والتقطه من قلب الرماد، وهو صاحبنا ديونسيوس. ولقد عانى ديونسيوس الأهوال من حقد هيرا وتعقبها لخطاه، ولكن الفتى أفلت من هذه المكائد بما يشبه المعجزات.

ويصور ديونسيوس بطلا مغوارا فى جوف قارة آسيا، يسانده فى فتوحاته جيش من المريدين والعباد، من ذكور وإناث، لهم قدرة معجزة فى تمزيق أشد الحيوانات ضراوة إربا. ويعرف هؤلاء باسم Bacchi أى أتباع باكوس، وهو اسم آخر لديونسيوس، يربطه بالكرمة وعصيرها المسكر. وعليه فهو سيد الروح المرحة والاحتفالات الماجنة والموسيقى والشعر. وفى الأسطورة أيضا أنه كتب عليه أن يموت ثم يبعث إلى الحياة من جديد مع تفتح براعم الزرع وثمر الأرض. ومع هذا التطور فى سيرة ديونسيوس، رأى فيه البعض نزعة صوفية نسكية. ولقد رأى فيه الإغريق صورة لأوزوريس، وأما الرومان فرأوا فيه سيرة Liber إله الخمر!



ديونسيوس يركب النمر (لوحة فسيفساء إغريقى)



كأس فضى مصور عليه ديونسيوس (إله الخمر) وجمع العنب وصناعة النبيذ



(فازة) آنية زخرفية (جائزة) مكتوب عليها «أنا أحد الفائزين بجائزة أثينا»



أولا: المراجع العربية:

١ ـ إبراهيم نصحى (د.): تاريخ مصر فى عصر البطالمة (٤ أجزاء). الأنجلو المصرية ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨.

٢ ـ إسحق عبيد (د.): أوربا فى بحر الظلمات. دار القلم، الكويت ١٩٩٥.

٣ ـ جمال حمدان (د.): شخصية مصر ـ دراسة فى عبقرية المكان. عالم الكتب. القاهرة ١٩٨٤.

٤ ـ حسين الشيخ (د.): دراسات فى تاريخ وحضارة مصر الرومانية. دار المعرفة الجامعية ١٩٨٧.

٥ ـ رأفت عبد الحميد (د.): الدولة والكنيسة. دار المعارف ١٩٨٣.

٦ ـ روستو فتنرف: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى (ترجمة زكى على ومحمد سليم). القاهرة ١٩٥٣.

٧ ـ زبيدة (عطا) (د.): الحياة الاقتصادية فى مصر البيزنطية. دار الأمين. القاهرة ١٩٩٤.

٨ ـ سيد أحمد على الناصرى (د.): الروم، تاريخهم وحضارتهم وعلاقاتهم بالمشرق العربى. مركز النشر لجامعة القاهرة ١٩٩٣.

٩ ـ عبد اللطيف أحمد على (د.): مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية. القاهرة ١٩٦٥.



مومياء حصان - العصر البطلمى فى مصر



١٠ ـ لطفى عبد الوهاب (د.): دراسات فى العصر الهلينستى. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٨.

١١ ـ مصطفى النشار (د.): مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقى والفلسفة اليونانية. دار المعارف ١٩٩٥.

١٢ ـ محمد حمدى إبراهيم (د.): الأدب السكندرى. دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة ١٩٨٥.

١٣ ـ محمد عواد حسين (د.): حركات المقاومة الوطنية فى مصر البطلمية. القاهرة ١٩٤٩.

١٤ ـ مصطفى العبادى (د.): الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور. الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٧٤.

١٥ ـ نجيب بلدى (د.): تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية. دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢.

١٦ ـ هارولد إدريس بل: الهلينية فى مصر من الإسكندر إلى الفتح العربى (ترجمة زكى على). دار المعارف، القاهرة. ترجمة أخرى للكتاب للدكتور عبد اللطيف أحمد على. دار النهضة العربية ١٩٦٨.

١٧ ـ الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك. ج٣ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة ١٩٦٩.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1 - Butler, A. J., Arab Conquest of Egypt. London, 1902.

2 - Gibbon, E., The Decline and Fall of The Roman Empire. (Pelican Books). 1973.

3 - Herodotus, The Histories. (Penguin Books). London 1955.

4 - Oxford Companion to Classical Literature (ed. P. Harvey). Oxford, 1955.

5 - Plutarch, Lives. (Everyman's Library). London, 1929.

6 - Vasiliev, A., History of The Byzantine Empire (2 Vols.). Oxford, 1964.


محتويات الكتاب



This Work dwells upon the impact of the Ancient Egyptian Civilization on both the Greeks and the Romans in antiquity. It is a known fact that the most prominent Greek thinkers, mathematicians and philosophers visited Egypt and developed their ideas after they had had access to the secrets of the Egyptian Priests and scholars at Oun, and Memphis Universities, and other Centers of learning. The list is a long one, including Thatis, Anaxemender, Democritus, Herodoctus, and Plato himself.

The Romans, who were the disciples of the Greeks, benefited a lot from Egyptian knowledge. It is noteworthy that the Bibliotheca Alexandrine became the port of call for both Greek and Roman scientists, and it was in that library that they produced their works and treatises.

Suffice is to say here that deities of the Greco-Roman Pantheon were all based on the traits of the Egyptian deities, with Goddess Isis officiating here and there as Aphrodite and Venus consecutively. Little wonder that many Western Scholars have testified to the fact that Egypt was indeed the " The Cradle of Civilization " and " Nursing Mother of the Mediterranean".

Dr. Izak Ebeid



History is the most esteemed branch of human knowledge, thus a historian should abide by the virtue of objectivity, foresight and the readiness to learn from the lessons of the past in order to confront present and future challenges.

History is not a kind of tell-tale, rather it is the morale lying behind events and happenings. History again has a wonderful trait which is "continuum" from the past to the present, and ventures of the future.

Episodes of history are transformed from one generation to the other via the narrative which preserves the accomplishments of each and every historical epoch.

However, history does not in any way repeat itself, for every day there is something new and dynamic in our globe. It is true that the stage for events remains the same, but seasons change and the human being himself does change, socially and culturally as well.

In view of all these considerations, Dar El-Fikr-EL-Arabi, founded by Mr. Mohamed Mahmoud El Khodari, has taken on itself to foster this colossal project of a historical serial involving past, present, and contemporary records from a universal approach.

It is noteworthy that the authors of this serial are from the elite of the Egyptian historians.

We sincerely hope that the recipient will enjoy reading the volumes of this serial for which Dar- El-Fikr has devoted all its efforts and technologies to produce it in this colorful format.

Dr. Said Abdel Fattah Asshour

CONSULTATIVE COMMITTEE FOR:
THE ENCYCLOPAEDIA OF HISTORY, ARCHAEOLOGY AND CIVILIZATION

Correspondence & Communications:

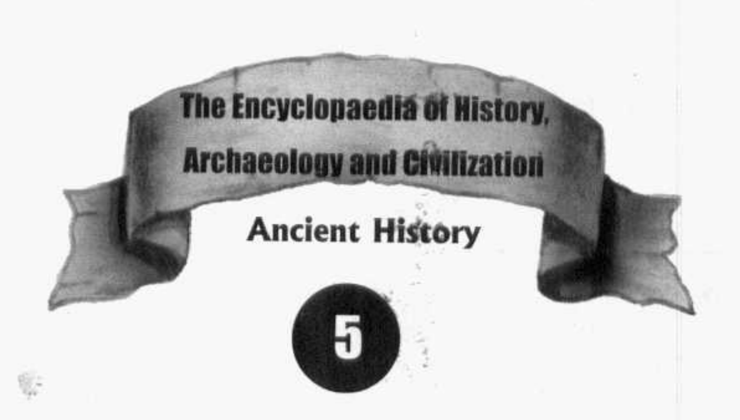
Dar El-Fikr El - Arabi

The Encyclopaedia of History, Archaeology and Civilization

94 Abbas Al-Akkad St., Nasr City - Cairo - Egypt

Tel.: 2752984 Fax: 2752735

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com



Egypt between Hellenism and Romanism

Dr. Ishak Ebeid



Publisher
Dar Al-Fikr Al-Arabi
94 Abbas El - Akkad St. Naser City - Cairo
tel : 2752794 . Fax : 2752735
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com